فلسفة الابتلاء

الشيخ
حافظ الحداد

الشيخ حافظ الحداد

شبكة الفكر
alfeker.net

فلسفة الابتلاء

مركز أمير المؤمنين عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

[سورة العنكبوت؛ الآيات :١-٣]

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى قمة المحن ومجمع البلاءات والمصائب والفتن إلى من تعرض لأقسى ألوان البلاء وأصنافه، وذاق أشد أنواعه وأشكاله.

إلى من إكتوى بنار المصائب لحظة بعد لحظة وتجرع الموت غصة بعد غصة.

إلى من ضحى في سبيل الله بكل قطرة من دمه، وفدى أخاه بنفسه وروحه ووجوده.

إلى من عرّض نفسه لسيف البليّة حينا بعد حين، وارتوى بكأس المنية ساعة بعد ساعة إلى من تحدى العذاب، وشدة البلاء حتى صارا يشتكيان من شدة عذابه وبلاءه عليهما.

إلى من فتت العطش مهجته، وقطّع بكاء الأطفال كبده، وتلقى ضرب السيوف بكل عضو من أعضاءه وَرُشِق بالسهام بكل قطعة من جسده.

إلى من ترك النّبْلُ ينال كل كريم من بدنه الطاهر، فكلما وقع سهم في موضع من بدنه قدّم له الآخر... وقع سهم في فمه فقدّم

صدره... وقع سهم في صدره فقدّم عينه اليسرى... وقع سهم في عينه اليسرى فجعل العين الأخرى إناء لدمها.

إلى من ترك السيف يقطع عضوا عضوا من بدنه في سبيل الله وهو يراه ولم يقل له: لا بل كلما قطع عضوا قدّم له الآخر... قَطَعَ يمينه فقدّم له يساره... قطع يساره فقدّم له رأسه... فضخوا رأسه قدّم له عنقه.

فهو بحق كما وُصِفَ، قال الإمام زين العابدين (ع): رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى، وفدا أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

«بحار الأنوار ط قديمة ج ٩ ص ١٤٧»

قال الإمام الصادق (ع): كان عمّنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله الحسين (ع) وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيدا.

«معالي السبطين ج ١ ص ٤٤٢»

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن من جملة قوانين الله على الأرض وسننه في هذه الدنيا سنة البلاء، فهي تجري على جميع البشر، ويحسها كل إنسان، ويلمسها كل عاقل.

بل الحياة قائمة على هذه السنة وهذا القانون، بل يبدو من جملة الآيات والروايات أنه غاية الخلق، أو إحدى أهدافه، كقوله (سبحانه وتعالى) :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ(١) ۝١ أَيُّهُمْ أَحسن عَمَلاً ﴾(٢)

وقوله (عز وجل) :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٣)

وقوله (عز وجل) :

---

(١) ذكر المفسرون أن اللام في لنبلونهم : لام الغاية : أي غاية فعل ما على الأرض زينة هو البلاء .

(٢) سورة الكهف : الآية : ٧ .

(٣) سورة الملك : الأية : ٢ .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(١)

وقوله (عز وجل) :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥) ﴾(٢)

وقوله (عز وجل) :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٣)

وقوله (عز وجل) :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾(٤)

وهذه الآية يستشف منها جريان العادة بالبلاء والامتحان.

وآية أخرى تبين أن علة اختلاف الأمم والألسن واللغات هو الإبتلاء، كقوله (عز وجل) :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾(٥)

وهذا أمير الكلام ومعلم الإنسانية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) سورة الإنسان : الآية : ٢ .
(٢) سورة الأنعام : الآية : ١٦٥ .
(٣) سورة هود : الآية : ٧ .
(٤) سورة المؤمنون : الآية : ٣٠ .
(٥) سورة المائدة : الآية : ٤٨ .

طالب (ع) ، قد صاغ مفاهيم هذه الآيات الكريمة بتعبير، وأسلوب رائع، مؤكدا على هذه الحقيقة بقوله (ع) :

(ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها)[1]

وفي كلمة أخرى يبين أن البلاء من طبع الدنيا وديدنها وسجاياها البارزة، كقوله (ع) :

(دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة) [2]

أو قوله (ع) : (لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها) [3]

فهذه التعابير واضحة الدلالة على أن الدنيا ليست دار راحة وسعادة فقط، بل دار اختبار وبلاء وتعب، وبمقدار ما فيها من أيام فرح قد يكون فيها أيام حزن وألم. وقد يكون أكثر.

قال أمير المؤمنين (ع) :

الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر)[4]

وبعد معرفة هذه الحقيقة يبرز سؤال مهم، يدور في الرأس يطلب الإجابة: لماذا نبتلى؟، بمعنى آخر: ما هي فلسفة الإبتلاء؟، لماذا نرى أناسا يتعذبون وآخرون لا يتعذبون؟، أناسا كثيري الإبتلاء وآخرين

---

(١) نهج البلاغة (في كتابة لمعاوية) .

(٢) نهج البلاغة خطبة : ٢٢٦ .

(٣) نهج البلاغة .

(٤) نهج البلاغة (الكلمات القصار) .

قليلي الإبتلاء، أناسا تصيبهم عاهات وعلل، وآخرين سالمين؟.

فهل غابت عدالة الله (سبحانه وتعالى) ؟ هذا ما سنجيب عليه في كتابنا هذا إن شاء الله.

الفصل الأول

الإبتلاء ماذا يعني ؟

في اللغة: كلمة البلاء يرجع أصلها إلى كلمة بلى، وهي مشتقة منها. فبلي الثوب كرضي، أي: أصبح باليا، أي: خلقا ورثا.. وقبر بال: أي قبر مندثر ذهبت رسومه. والبلاء: الغم أيضا، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن. (١)

وناقة بلو السفر أو بلي السفر: أي التي أبلاها السفر (٢) أي: أتعبها وأنهكها. وبلاه الله: أي: اختبره. وابتليته: أي: اختبرته، والبلاء: الاختبار.

فخلاصة آراء أهل اللغة: أن البلاء بمعنى الاختبار والامتحان، وأكثر ما يكون بالأمر الشاق والصعب والمحزن، مما يؤدي إلى الغم وإنهاك البدن، أو النفس أو الفكر.

فلهذه الكثرة والغلبة أطلق كلمة البلاء بشكل خاص على المحنة

---

(١) القاموس المحيط .

(٢) الصحاح .

والمصيبة، وهي أول ما يتبادر إلى ذهن السامع عند سماعها.

أما معنى كلمة البلاء في القرآن فإنه لا يخرج عن معنى اللغة، فهو أيضا بمعنى الاختبار، كقوله (سبحانه):

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(١)

فقد أجمع المفسرون أن معنى كلمة لنبلوهم: أي نختبرهم، ولكن القرآن يبين أن البلاء له إطار أوسع من البلاء بالشر، بل قد يكون بالخير كأن يمتحن بالنعمة والأموال والأولاء:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(٢)

إلا أن أغلبه ما يكون فيه شدة وصعوبة، بحيث يكدر صفو العيش ويعتبره الإنسان شرا، وهذا ما أدلى به أحد علماء اللغة أيضا.

وأما الكليني (ق س) يقول في توضيح معنى كلمة بلاء: هو ما يختبر ويمتحن به من خير وشر، وأكثر ما يأتي مطلقا الشر وما أريد به الخير يأتي مقيدا، كما قال الله (تعالى): ﴿بلاءً حسناً﴾(٣)

---

(١) سورة الكهف : الآية : ٧ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الأنفال : الآية : ١٧ . وهي هذه الآية : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

الفصل الثاني

تاريـــخ الإبتـــلاء

ليس البلاء وليد هذا العصر أو ذاك، بل هو قديم بقدم الدهر، بدأ منذ بدأ التكليف، منذ أن خلق الله آدم (ع) وخلق الخلق، بل منذ عالم الذر، كما صرح بذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾(١)

وعند النظر في هذه الآية وما جاءت به الروايات في هذا الشأن، يتضح أنه قد أقيم اختبار يوم كان البشر ذراً، وعرض عليهم الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل بيته (ع)، فمن كان طينته طيبة قبل، ومن كانت طينته خبيثة رُفض، وإنما الدنيا فرصة ثانية وساحة آخرى للاختبار منحها الله لعباده رحمة بهم ورأفة، لكي يؤمنوا ويعودوا

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ١٧٢ .

إليه.

ثم تدرج البلاء فاختبر إبليس (لع) لما عبد الله سنوات عديدة، فأكرمه الله وجعله في صفوف الملائكة، وامتحنه بالسجود لآدم، فأبى أن يسجد واستكبر وتعنَّت، فخسر رضوان الله و استحق اللعنة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(١)

وقال أمير المؤمنين (ع):

(فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماماً للبلية وإنجازاً للعدة) (٢)

وهذا أيضا أبونا آدم (ع) اختبر وابتلي بالشجرة حينما نهاه الله عن القرب منها، فأكل منها فأخرج من الجنة والنعيم، واستقر في الأرض وحرم من نعم الجنة حقبة من الزمن.

---

(١) سورة الحجر : الآيات : ٢٨ - ٣٥ .

(٢) نهج البلاغة ص ٢٢ .

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(١)

وهذا نوح (ع) أبتلي بقومه، حيث أجهد نفسه في نصح قومه وهدايتهم إلى الله، لكن لم يقابلوا ذلك إلا بالعصيان والتمرّد، وعظهم ألف سنة إلا خمسين، ولكن لم يزدهم ذلك إلا فراراً واستكباراً، حتى ضجر منهم وطلب من الله هلاكهم:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . . .وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾(٢)

وفي رواية: إنما سمي بنوح (ع) لكثرة نوحه ونياحته على قومه حتى شكا الغم منهم، قال الإمام الصادق (ع) :

(إن نوحاً شكا إلى الله الغم، فأوحى الله إليه كل العنب الأسود، فإنه يذهب بالغم) (٣)

وهذا إبراهيم (ع) أيضا ابتلي مرة بالرؤيا التي رآها في منامه كأنه

---

(١) سورة البقرة : الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

(٢) سورة نوح : الآيات : ٥ - ٧ والآية : ٢٦ .

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٧٤ .

يذبح ابنه إسماعيل (ع)، وبما أنه يعلم أن رؤية الأنبياء صادقة لا تكون أضغاث أحلام فكان عليه تنفيذها.

لكن هل كان ذبح ابنه أمراً هيناً؟ خصوصاً حينما رزقه الله ذلك بطريق المعجزة، حيث كان شيخا كبيراً، وكانت زوجته عاقراً، وكان ينتظر الأولاد بفارغ الصبر، فليس من السهل بعدما رزقه الله أمنيته أن يذبحه بيده، لذا كان بلاؤه (ع) بلاءً صعباً وشديداً، كما عبر القرآن عنه بالبلاء المبين: -

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾(١)

وهذه مريم العذراء (ع) ابتليت بمجتمعها حيث اتهمها بالزنا، وهذا أيوب (ع) ابتلي بالمرض سنوات عديدة حتى شمت به الناس، وهذا نبينا محمد (ص) ابتلي بقومه فكذبوه وسبوه، وآذوه ورموه بالصخور حتى قال: "ما أوذي نبي مثل ما أوذيت"، وهكذا أمير المؤمنين (ع)

---

(١) سورة الصافات: الآيات: ١٠٠ - ١٠٧.

الزهراء (ع) وبقية الأئمة الطاهرين (ع).

الفصل الثالث

شمولية الإبتلاء

تبين مما ذكرنا أن البلاء لم يكن مقتصراً على فئة من فئات خلق الله، بل إنما هو شامل، شمل الجن كما ابتلي إبليس، وشمل جميع البشر الرجال والنساء، المعصوم وغير المعصوم، المؤمن وغيره... كما أشرنا إلى ذلك، بل شمل أيضاً مخلوقات الله الحية أيضاً، حيث هي معرضة للبلاء ويعمها حكمة، لكن كل كائن حسب وضعه وبيئته وطاقته.

فتجد مثلاً بعض الحيوانات منذ اللحظة الأولى، وعند الساعة الأولى من ولادتها يولد الخطر والبلاء معها، فها هي أنثى الغزال ما أن يقع وليدها على الأرض حتى تراه يعدو خلفها بعد لحظات ودقائق، ونحن نسأل علماء الحيوان: لماذا؟ يقولون : لأنه أحس بالخطر عين أسد أو نمر تراقبه من بعيد تريد أن تفترسه وتنقض عليه.

القطط نراها كل يوم، فمنها ما يكون ضحية إطارات السيارة، أو أطفال يرمونها بالصخور ويعذبونها.

كذلك الأسماك، فمنها طلق يجوب البحار والمحيطات بزعانفه كيفما يشاء متى يشاء، ومنها من يكون أسير حوض أو شبك أو لقمة في فم إنسان أو غيره.

والطيور أيضاً منها ما هو حر يطير ويسافر إلى أي بلد وأي مكان، ويسكن في أي أرض أو على أية شجرة، ويأكل ما يشتهي وما يريد، ومنها ما يكون مسجوناً في قفص أو بطن.

قال الإمام الصادق (ع): (ما من طير يصاد إلا بتركه التسبيح) [1]

حتى النبات قد يتعرض للبلاء عندما يقطع الماء أو السماد والأملاح عنه، فتراه يصفر ويموت.

فهذه الموارد كلها تدل على شمولية البلاء، وما صار شاملاً إلا رحمة من الله لهم، وعنواناً لعدالته، وإن كانت الكائنات الحية غير البشرية غير مكلّفة، لكن في ذلك عبرة وعظة.

---

(١) الخصائص للمفيد .

الفصل الرابع

أنـــواع الإبتـــلاء

ليس البـلاء على شكلٍ واحـد أو لون مـعين، بل هو أشكال وألوان، فقد يصيب الإنسان لون منه مرة، وقد يصيبه لون آخر مرة أخرى، وقد يصيبه أكثر من نوع مرة ثالثة - حسب ما تقتضيه حكمة الله (سبحانه وتعالى) -.

اللون الأول: الأمراض

أولا: الأمراض الجسدية

المرض الجسدي العضوي نوع من البلاء يستوجب كثيراً من المعاناة والألم، فلو بلي بالسكري، أو السرطان، أو الزهري، أو الروماتيزم، أو البرص، أو الجدري، أو الجذام، أو العنن والعقم... الخ، فهل يشعر بالراحة أم التعب والألم؟، لاشك أنها تؤذيه وتتعبه.

ثانيا: الأمراض العقلية

الخبل، أو خفة العقل، أو النسيان الكثير، أو الذهول وعدم القدرة

على التركيز أو الغباء، كلها حالات مرضية قد يتعرض لها الإنسان، فتسبب له مشاكل أو إحراجاً بين الناس.

ثالثا: الأمراض النفسية

وهي لا تقل خطورتها عن الأمراض العقلية والجسدية، بل ربما تكون أشد وأكثر عناءً، فالوسوسة والبخل والحسد والأنانية، أو الكسل والتردد والقلق... ليست بالأمراض الهينة، فقد يتلوى الإنسان طول حياته من سياطها.

اللون الثاني: الأسرة

قد يهاجمك البلاء من داخل أسرتك، من زوجتك أو زوجك، أو أمك أو أبيك، أو أخيك، أو عمك أو عمتك، أو... أي فردٍ من أفراد عائلتك وذويك، فيكون ما تلاقيه من مجتمعك أو السلطة أهون عليك منه، أفلا يكون ذلك حينئذ بلاءً ومحنة وفتنة؟ بلا شك وريب.

فالزوجة حينما تخون زوجها كما خانت نوحاً (ع) زوجته، وخانت جعدة الإمام الحسن (ع)، أو حينما يستهتر الزوج فيضيع زوجته ويؤذيها، كما صنع فرعون (لع) بآسية (رض)، أو الوالدين يكبلان ولدهما ويصادران حقوقه أو العكس، فهذا عين البلاء والاختبار.

والقرآن الكريم يستعرض لنا في آياته المباركات صوراً جميلة عن هذا النوع بالبلاء الذي يتعرض له المؤمنون في حياتهم، ففي الإبتلاء بالزوجة غير الصالحة الخائنة يقول:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾(١)

وفي الإبتلاء بزوج مستكبر طاغ يقول الله (عز وجل) في قصة آسية - (رض) واصفاً الشدة التي تعاني منها في سجن (٢) فرعون، وكيف كانت تتضرع وتطلب النجاة من سجنه وأفعاله:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٣)

ومن الإبتلاء بالولد العاصي المتمرد يقول (سبحانه):

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾(٤)

---

(١) سورة التحريم : الآية : ١٠ .

(٢) عبرت بالسجن دون البيت لأن البيت الذي تصادر فيه الحريات، كحرية العقيدة أو الرأي وماشاكل ذلك، وتعلو فيه لغة الإستبداد والقهر عوض المنطق فهذا ليس بيت بل سجن .

(٣) سورة التحريم : الآية : ١١ .

(٤) سورة هود : الآيتان : ٤٢ - ٤٣ .

وقال أمير المؤمنين (ع) في ذلك:

(يا أشعث ابنك سرك وهو بلاء وفتنة) [1]

والقرآن يقول أيضاً: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [2]

وفي الإبتلاء بالعم [3] يقول (سبحانه):

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [4]

وفي الإبتلاء بالإخوة يصور القرآن لنا كيف حسد أولاد يعقوب (ع) أخاهم يوسف (ع)، ورموه في الجب كي يموت ويخلو لهم وجه أبيهم،

---

(١) نهج البلاغة ص ١٧ .

(٢) سورة الأنفال : الآية : ٢٨ .

(٣) الروايات ذكرت أن الرجل الذي خاطبه إبراهيم (ع) بصيغة الأب كان عمه آزر، إنما خاطبه بذلك لأن كلمة الأب تستخدم عوض العم، كما ذكره القرآن الكريم في جواب سؤال النبي يعقوب (ع) حينما سأله أولاده قائلا : ﴿ ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ ... مع أن إسماعيل (ع) كان عمه أو من باب الإحترام والتقدير، أو لجلبه لحضيرة الإسلام

(٤) سورة مريم : الآيات : ٤١ - ٤٦ .

بقوله (سبحانه):

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (١)

وهكذا سائر أفراد الأسرة قد يكونون بلاء وفتنة.

اللون الثالث: المجتمع الفاسد

هو نتيجة طبيعية لفساد السلطة وعبث الحكومة، لأنه إذا فسد الراعي فسدت الرعية:

إذا كان رب البيت بالدف مولع فشيمة أهل الدار كلهم رقص

فسيادة الإنحراف وموت الفضيلة وظهور الرذيلة يعني تحويل المجتمع إلى خلية إجرام وقتل وسرقة، فعندها ينعدم الاستقرار ويختفي الشعور بالاطمئنان والأمان، ويطغى شبح القلق على النفس... الأموال... والأعراض.

اللون الرابع: السلطة الجائرة

عندما يتولى شرار القوم أمور البلاد، ويسيطروا بحكمهم الديكتاتوري على رقاب الناس، فإن الحياة تصير جحيماً لا يطاق، وسوف لا ترى إلا حريات قد صودرت، وعقليات قد طوردت، وثروات

---

(١) سورة يوسف: الآيات: ٧ - ٩.

قد نهبت، فيتجرع الناس كأس العذاب والألم عوض عسل الحرية، كما حدث من قبل لبني إسرائيل عندما تسلط الطاغية فرعون عليهم، وجعل يسومهم سوء العذاب، قال الله (تعالى):

﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾

اللون الخامس: الكوارث الطبيعية

وهي التي تكون حسب الظاهر خارجة عن إرادة الإنسان، والتي يعم خطرها جميع المجتمع، كالأمطار الغزيرة، والثلوج الشديدة، وما تحدثاه من سيول عارمة تجرف مدناً، وتحطم شوارع وقرى، أو الزلازل حينما تتجاوز درجاتها ست درجات حسب مقياس (رختر) فإنها تكون مدمرة وخطرة جداً، فلو بلغت عشر درجات قدرت قوتها كانفجار ألف قنبلة ذرية، وهكذا الحال بالنسبة للصواعق والعواصف والحرارة العالية والبرودة الشديدة... الخ.

فهذه الكوارث تسبب الأزمات الاقتصادية والمشاكل الصحية، وما شاكل ذلك من العناء والبلاء.

اللون السادس: الحوادث

كحوادث السيارات واصطدام القطارات واحتراق الطائرات أو سقوطها، أو انكسار السفن وارتطامها بشعب مرجانية مثلا أو شيء آخر، أو تسرب غاز سام أو حرائق كالتي أشعلها صدام اللعين

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٤٩ .

الطاغي عبثاً وحقداً في أرض الكويت الطيبة، فضيع النعمة وتسبب في تلويث البيئة وتدمير البشرية.

اللون السابع: الحروب

ما ينجم عن الحروب الباطلة والانقلابات والثورات العشوائية غير الهادفة، والصراعات الداخلية من بلاء وفتن وأمراض ومشاكل، ما لا يقدر ولا يتصور، فالحرب نوع من البلاء والعناء.

اللون الثامن: النعمة والمال

قد يكون الخير أو - بإصطلاح آخر - النعمة والمال بلاء وفتنة، كما أشار إلى ذلك القرآن بقوله:

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (١)

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٢)

وقول أمير المؤمنين (ع):

(وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له) (٣)

اللون التاسع: الفقر

حينما تتغير على المرء الأحوال، وتزول من بين يديه النعم والأموال، ويعضه الفقر وتنقطع به الآمال، حينها يصير حاله من أسوأ الأحوال.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الأنفال : الآية : ٢٨ .

(٣) نهج البلاغة قصار الحِكَم .

قال أمير المؤمنين (ع):

(ألا بأن من البلاء الفاقة) [1]

والعجاج يقول:

المرء يبليه بلاء السربال[2] كر الليالي واختلاف الأحوال

(١) نهج البلاغة قصار الحِكَم .

(٢) السربال : القميص أو الدرع (المعجم الوسيط) .

الفصل الخامس

الإبتـــلاء والمؤمـــن

ما هو موقف الناس من الإبتلاء؟

عادة الناس يكرهون البلاء والإبتلاء ويخشونه، ويتهربون من كل عمل يشعرون فيه خطراً على مصالحهم، ويفرون من كل صديق فيه شبهة أو قد يحتمل منه البلاء، بل يفرون من كل شيء يشتم منه رائحة البلاء، وذلك لأن البشر بطبيعتهم يميلون إلى الراحة عوضاً عن التعب، ويفضلون الأنس والفرحة دون المشقة والنصب، ولو كانت الراحة والفرحة في مضرتهم والشدة والتعب في مصلحتهم، وهذا ما وضحه القرآن أن الناس مع أهوائهم ورغباتهم فإذا أصابهم خير ونعمة وسراء اعترفوا بكرم ربهم وفضله، وإن أصابتهم ضراء وشدة كفروا بالله واتهموا ربهم، كما وضح ذلك (سبحانه) في كتابه بقوله:

﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (١)

---

(١) سورة الفجر : الآيتان : ١٥ - ١٦ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١)

علامة المؤمن الإبتلاء

أما المؤمن فينظر إلى جميع الأمور بمنظار رضا الله وسخطه، فلو كان رضا الله في البلاء والمشقة فضله على الراحة والأنس، وهكذا العكس.

فأبرز علامات المؤمن كثرة البلاء، فهو قرينه وديدنه الذي لا ينفك عنه بحال من الأحوال، بل يستفاد من الروايات أنه لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يبتلى فيصبر عليه، لأن حقيقة الإيمان هو انتصار قوى الخير في داخله على قوى الشر أي (الوقوف بجانب العقل ضد الشهوه) والهوى (أي الوقوف أما طبيعته وميولاته)، وهذا بحد ذاته بلاء ومعاناة، لأن الوقوف بجانب العقل والحق، والتمسك به والدفاع عنه ودحض الباطل، أمر صعب ومحفوف بالمكاره ومشوب بالمخاطر والصعوبات، كما قال الصادق (ع)"

(إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة، أما إن ذلك إلى مدة قليلة وعافية طويلة) (٢)

---

(١) سورة الحج : الآية : ١١ .

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ٢٥٥ .

وهذه مصداق كلمة الإمام علي (ع) التي كان يخبر بها عن نفسه أنه ما ترك له الحق من صديق.

فالإيمان يعني التحدي للشهوات الطائشة، وضبط الغرائز وتحمل الضغوط النفسية والعائلية والاجتماعية وغيرها في سبيل مرضاة الله (سبحانه).

فالإيمان إذا يعني البلاء، وهذا ما أكدته الروايات:

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلا عرض له أمر يحزنه، يذكَّر به) [1]

عن محمد بن بهلول العبدي، قال: سمعت أبا عبد الله (ع): يقول: (لم يُؤْمِنِ الله المؤمن من هزاهز الدنيا، ولكنه آمنه من العمى فيها والشقاء في الآخرة)[2].

عن أبي عبد الله (ع) قال: (ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلا وله جار يؤذيه، ولو أن مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له مَن يؤذيه)[3]

أي لا مفر من البلاء، وكيف تفر والدنيا دار بلاء ولا يمكن الفرار منها إلا بالموت؟.

وعنه (ع): قال: قال رسول الله (ص): (إن الله أخذ ميثاق المؤمن على أربع بلايا[4]، أيسرها عليه مؤمن يقول بقوله [5] يحسده، أو

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٤ .
(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٥ . يذكّر به : يعرف به .
(٣) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥١ .
(٤) على روايه : المؤمن لا يخلو من أربع .
(٥) يقول بقوله : أي يدين بدينه .

منافق يقفو أثره أو شيطان يغويه، أو كافر يرى جهاده) [1]

وعنه (ع): (ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاث عليه، إما بغض من يكون معه في الدار، يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه، ولو أن مؤمناً على قلة جبل لبعث الله عز وجل إليه شيطاناً يؤذيه) [2]

عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول: (إذا مات المؤمن خلّي عن جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر[3] ، كانوا مشتغلين به) [4]

وهذا الرواية تكشف أعداء آخرين للمؤمن وهم الجن، فهو يبتلى بوسوستهم وتزيينهم المعاصي له، وقذف الرعب في قلبه.

كراهة انقطاعه عنه

من مجموع هذه الروايات يتضح أن البلاء يلزم المؤمن كلزوم الليل للنهار لا ينفك عنه ويتعاقبه في كل يوم، وهو من سماته الممدوحة فيه، بل ويظهر من بعض الروايات كراهة انقطاعه عنه، وربما دل انقطاعه عن سخط الله عليه.

قال الصادق (ع): (كان علي بن الحسين (ع) يقول: إني لأكره للرجل أن يعافى في الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب) [5]

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٢٤٩ وعلى رواية كافر يتبع أثره .
(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٢٤٩ .
(٣) ربيعة ومضر : قبيلتان من قبائل العرب توصفان بالكثرة .
(٤) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥١ .
(٥) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٦ .

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص): "لا حاجة لله فيمن ليس له في ماله وبدنه نصيب"[1].

بيضة تقع على وتد فلا تنكسر

وهنا ننتقل إلى قصة جميلة في هذا الصدد:

قال أبو عبد الله (ع): (دعي النبي (ص) إلى طعام، فلما دخل منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق الحائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد في حائط فثبتت عليه، ولم تسقط ولم تتكسر، فتعجب النبي (ص) منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحق ما رزئت [2] شيئاً قط قال: فنهض رسول الله (ص) ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: "من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة"[3]

سرعة نزوله عليه

البلاء سريع النزول على المؤمن، فلا ينتظره يتهيأ له أو يأخذ استعداده، أو حتى يفرغ من البلاء الذي قبله، بل يفاجئه واحداً تلو الآخر.

عن أبي عبد الله (ع) قال: إن في كتاب علي (ع): (وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التَقِّي من المطر إلى قرار الأرض) [4]

وفي بعض الروايات تشبهٌ سرعته بسرعة نزول السيل إلى الوادي.

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٦ .
(٢) رزئت : من الرزية أي المصيبة، أي ما أصبت بنقيصة قط .
(٣) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٦ .
(٤) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٩ .

لا يبتلى بفقد عقله

من رحمة الله ولطفه للمؤمن أنه لا يبتليه بذهاب عقله كالجنون وغيره [1]، وكذلك الأنبياء (ع) والمعصومين، فهم منزهون عن مثل ذلك، بل وعن كل ما يعيقهم في أداء رسالتهم وينفر الناس عنهم.

قال أبو عبد الله (ع): (إن الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سُلِّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلَّط على عقله؟ ترك له ليوَحدِ الله به). [2]

(١) ربما كي لا يكون مسقطا للتكليف ومانعا من إرتفاعه إلى مدارج الكمال والعلو .

(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٦ .

الفصل السادس

لماذا نبتلى؟

أو بمعنى آخر: ما هي فلسفة الإبتلاء؟ أو ما هي الحكمة من ورائه؟ لأن وراء كل بلية حكمة، كما كشف ذلك الإمام العسكري (ع) بقوله: (ما من بلية إلا ولله فيها حكمة تحيط بها)[1].

أولا: الاختيار

لعل أكبر غاية من وراء البلاء هي الاختبار والامتحان، فالله (سبحانه وتعالى) قد يبتلي عباده بالشر أو بالخير، ليكشف حقيقة إيمانهم وأنفسهم، أو صدق اعتقادهم وعبوديتهم وطاعتهم، فيميز الطيب من الخبيث والصادق من الكاذب.

﴿ الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[2]

---

(١) في رحاب الأئمة (ع)

(٢) سورة العنكبوت: الآيات: ١ - ٣.

فهذه الآية دلت بصراحة على أنه ليس من الحكمة والعدل أن يترك الإنسان بلا اختبار، وإلا لبطل الثواب والجزاء، وفقدت الجنة والنار مصداقيتهما، ولم يكن فضل للذي جاهد نفسه وهذب أخلاقه، وآمن بالله ورسله وكتبه بحق ممن تظاهر بالإيمان واتبع الشهوات وكذب الرسل.

فلولا البلاء لما عرفنا الصابر المجاهد من غيره.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾(١)

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٢)

ونبتلى تارة لمعرفة من يعمل عملاً حسناً متقناً من غيره.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٣)

فهذا نوح (ع) حبس الله دعاءه على قومه وأخر هلاكهم امتحانا لهم، ليميز من آمن به بصدق ممن كذب وادعى، حيث روي أنه لما دعا على قومه بالهلاك، بعث الله (عز وجل) إليه الروح الأمين جبرائيل (ع) ومعه سبع نوى، فقال: يا نبي الله، إن الله تبارك وتعالى يقول لك:

(هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلا

---

(١) سورة محمد : الآية : ٣١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٥٤ .

(٣) سورة الملك : الآية : ٢ .

بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإني مثيبك عليه، واغرس هذه النوى فإن لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشر بذلك من معك من المؤمنين).

فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتشرفت، وزها الثمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله العدة، فأمره أن يأخذ من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجة على قومه، وأخبر به الطوائف التي آمنت به، فارتد منهم ثلاث مائة رجل، وقالوا: لو كان ما يقوله نوح حقاً، لما وقع في وعد ربه خلف.

ثم أنه لم يزل يأمره كل مرة: أن يغرس تارة بعد أخرى، إلى أن غرسها سبع مرات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين يرتد منهم طائفة بعد أخرى إلى أن عادوا إلى نيف وسبعين رجلاً، فأوحى الله (عز وجل) إليه وقال:

﴿ يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك، وصرح الحق عن محضه، وصفا الكدر بارتداد كل من كان طينته خبيثة، فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك، لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بفضل نبوتك بأن أستخلفهم في

---

(١) كلمة الله ص ٦١ - ٦٢ .

الأرض وأمكن لهم دينهم وأبدل خوفهم بالأمن ﴾...الخ [1]

فالشدائد والصعوبات والمحن أفضل السبل لمعرفة حقيقة وصدق الإيمان وصدق الاعتقاد ومدى صبر الإنسان وتحمّله.

فلو أردت معرفة قدرة إنسان على سياقة السيارة، فإنه ليس من الصحيح أن تكتفي بأن تراه يملك سيارة، أو تسمع دعواه في ذلك دون اختبار وامتحان، بل ينبغي اختباره بسلوك طريق مزدحم بالسيارات والبشر، أو شارع فيه مرتفعات وتقاطعات ومنخفضات، أو جادة ضيقة وما أشبه، ثم نرى كيف يتصرف، عندها نتحقق من صدق دعواه وكفاءته وقدرته على السياقة، وهذا بالضبط ما تصنعه إدارات المرور في كل بلد وقطر، فالشدائد والمآزق هي التي تكشف واقع الأمر.

قال أمير الكلام الإمام علي بن أبي طالب (ع):

(في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال) [1]

وفي المثل أيضا: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

لذا نرى جميع الأمم السالفة والأقوام الماضية تعرضت للبلاء لتمييزهم وتمحيصهم، فنرى منهم من اختبر بالخير والنعمة والمال، كقارون الذي تفضل الله عليه بتلك الأموال الهائلة والتي مفاتيح صناديقها لتنوء بالعصبة... فعوضاً عن شكر الله بغى وكذب الله ورسله فخسف الله به الأرض وأهلكه.

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم رقم ٢١٧.

﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ.... فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾(١)

ومنهم من اختبر بالعلم، كبلعم بن باعوراء الذي منحه الله علم الاسم الأعظم الذي يحقق به كل ما يريد، فلم يستخدمه في مرضاة الله، بل دعا به على نبي الله موسى (ع) فسلخ منه العلم وذمّه القرآن أيما ذم:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (٢)

ومنهم من اختبر بالنساء، فهذا العابد الناسك برصيصا الذي منحه الله القدرة على شفاء المجانين وعلاجهم تفضلاً من الله عليه وجزاءً لعبادته، فجيء له بامرأة مجنونة ليعالجها فأغواه الشيطان وغره بها، فعالجها وواقعها سفاحاً حتى حملت منه، ثم كفر بالله وسجد للشيطان في قصة مفصلة، وقد حكاها القرآن بقوله:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ

---

(١) سورة القصص : الآيات : ٧٦ - ٨١ .

(٢) سورة الأعراف : الآيات : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٣) سورة الحشر : الآية : ١٦

مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

أصحاب السبت

ومنهم من اختبر بالشر- كما عبر القرآن الكريم-، أو الشدة والصعوبة ومخالفة الهوى، كأصحاب السبت الذين ابتلاهم ربهم بحرمانهم من صيد الأسماك يوم السبت عقاباً لهم بما صنعوا وامتحانا لطاعتهم، فكانت الأسماك يوم السبت تملأ شواطئهم، وتصل إلى ناديهم، وقدَّام أبواب منازلهم دون صيد أو تعب، فغلبهما الحرص والطمع وعملوا ما نهوا عنه، وخالفوا الله واصطادوا السمك يوم السبت، وبرروا فعلهم بأن الله ما نهى عن صيدها يوم السبت وإنما عن أكلها، فعاقبهم الله (سبحانه وتعالى):

﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ... فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١)

فالملاحظ من هذه الآيات أن منعهم من الصيد مع إتيانه إليهم كان مبالغة في اختبارهم وامتحانهم.

طالوت وجنوده

وهذا طالوت اختبر جنده بالنهر حينما أمرهم بترك شربه كيما

---

(١) سورة الأعراف : الآيتان : ١٦٣ - ١٦٥ .

يتبين طاعتهم وانقيادهم، ويظهر مستوى تضحيتهم وصبرهم، وكان اختباراً شديداً لائقاً بوظيفتهم، فالجندي والعسكري ينبغي أن يكونا على مستوى عال من الخشونة والصلابة، فلما مروا بالنهر، شرب منه أكثر جنده إلا فئة قليلة لم تطعمه، وصبرت على شدة العطش، ونجحت في الاختبار وصبرت على البلاء، فأتبع هذا النجاح نصر أكبر حيث قتل جالوت وخلصهم الله من شره وطغيانه:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ... فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ (١)

هذه جملة من الأمم السابقة وكيف بلاهم الله وماذا صنعوا، واليوم قد يبتلى شعب بحاكم ظالم طاغ، فيسفك الدماء ويملأ السجون ويستعبد الناس حقبة من الزمن ، فمن الناس من يستولي عليه أخطبوط اليأس فيكفر بالله ويقنط من رحمته، ويترك التزامه بأوامر الله بحجة أن الله لو كان موجوداً وعادلاً لخلصنا من شر هذا الطاغي، ومنهم من يبقى على إيمانه وثقته بالله وأمله بالنصر والفرج، وتكون هذه الآية عنواناً وضياءً لمسيرته .

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

---

(١) سورة البقرة : الآيتان : ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية : ٤٢ .

﴿ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ (٢) .

وهذه الآية التي تعطيه الأمل أيضاً

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (١)

وقد يمتحن الإنسان بمرض مزمن كالسرطان أو السكري أو الشلل أو العقم أو العنن... وهكذا من الأمراض التي يتوصل العلم الحديث إلى علاج فعال لها، فيمل من المرض ويضجر فيتذمر أولا ثم يشك في جدوائية دعائه وصلاته وتوسله، حتى يصل الأمر أن يشك في قدرة الله - والعياذ بالله -، فهذا المرض لم يكن إلا اختباراً له.

وقد تختبر المرأة العزباء أيضاً بعيب فيها كقباحة الوجه أو أي شيء آخر يقلل من رغبة الرجال فيها، فلا يتقدم أحد لخطبتها ويتأخر زواجها، فيكون ذلك اختباراً لها: هل تصبر وتتقي الله حتى يأتي رزق الله، أم تفجر وتنشغل بعمل غير مشروع تلبية لنداء غريزتها؟ وكذلك المرأة المتزوجة قد تمتحن بغياب زوجها أو تقصيره في نفقتها أو الزواج عليها؟ فهل تخونه أو تحفظه؟ وكذلك الأم بأولادها وهكذا.

كما قد يختبر الرجل بالفقر فهل يصبر ويطلب الحلال أم يطلب الرزق بالسرقة والربا والغش والمتاجرة بالحرام؟.

وكذلك العلماء قد يبتلون بكثرة الكلام فيهم وضغوط السُلطات عليهم، فهل يكفون عن دورهم وقيادتهم أم يستمرون؟.

وهكذا سائر طبقات المجتمع يبتلون بشكل أو بآخر اختباراً لهم

---

(١) سورة الشعراء : الآية : ٢٢٧ .

وفتنة.

ثانيا: الرجوع إلى الله

حينما يغرق الإنسان في دنياه، ويغوص في ملذاته، ويسبح في بحر شهواته يصاب بالتيه والغفلة، والتي بدورها تلعب دوراً كبيراً في انزلاقه وانحرافه العقائدي، فضلاً عن السلوكي والنفسي، فينبغي إيجاد وسيلة لإيقافه عند حده وإرجاعه إلى عقله وصوابه، وإلا ظلم نفسه والآخرين وهتك حقوقهم.

فالسؤال هنا: كيف نوقفه؟

عند التفكير في كيفية إيقاف العصاة والمنحرفين عن غيّهم تمردهم، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أصنافهم، وأصناف الوسائل التي تنفعهم وتؤثر بهم.

فبعض المنحرفين مثلا ينفع معهم الوعظ والإرشاد والكلمة الطيبة، وبعضهم النهي والزجر والتهديد والوعيد، وبعضهم لا ينفع معه إلا العقاب والأسواط التأديبية هي التي تضبطه وتقومه.

فالعقاب والبلاء، لهذه الفئة هو الطريق الأفضل لإيقاظهم من سكرة غفلتهم، ونشوة لذتهم وهدايتهم من بعد ضياعهم، بل هو السبيل المطلوب لتنبيه عقولهم وضمائرهم من سباتها العميق، حتى يعودوا إلى خالقهم وبارئهم رب العالمين (سبحانه وتعالى) بتوبة صادقة وتضرع خاشع، وهذا ما أكده القرآن:

---

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٦٨.

﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١)

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١)

فهاتان الآيتان أشارتا إلى أن البلاء صار سبباً إلى الرجوع إلى الله (سبحانه)، والرجوع عن المعاصي بتركها، بل الآية الأولى تكشف أنه الغاية من ورائه، لأن الضيق والشدة والبلاء تجعل الإنسان يتضرع إليه ويبكي ويستغفر ويتوسل به لا غيره، والتضرع والدعاء بحد ذاته وسيلة لتربيته وضبط سلوكه وتوبته الصادقة.

روى أبو الصباح قال قلت لأبي عبد الله (ع): ما أصاب المؤمن من بلاء أفيذنب؟ قال: لا، لا ولكن يسمع الله أنينه وشكواه ليكتب له الحسنات ويمحو عنه السيئات. (٢)

﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣)

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٥)

فهذه حالة عند جميع البشر، يكون غافلا عاصياً فإذا لسعته الشدة ولدغته المحنة ومسه الضر أدرك أنه لا ملجأ له إلا الله

---

(١) سورة الأنبياء : الآية : ٣٥ .

(٢) عدة الداعي ص٣٤٠ .

(٣) سورة يونس : الآية : ٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية : ٦٥ .

(٥) سورة لقمان : الآية : ٣٢ .

(سبحانه وتعالى) ولا حبل يتمسك به إلا حبله، وأنه مهما أوتي من قوة فهو ضعيف لا يقدر على دفع بلية أو جلب منفعة، فلا حول له ولا قوة إلا الله (عز وجل).

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ (١)

رجل انكسرت به السفينة

وهذه الحالة كشفها الإمام الصادق (ع) حينما سأله رجل: يابن رسول الله دُلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيَّروني؟ فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال (ع): فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم قال (ع): فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟، قال: نعم قال الصادق (ع): فذلك الشيئ هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث. (٢)

فهذا الرجل حينما مسه الضر وخاف على نفسه الغرق، تعلق قلبه بالله وارتبط به أيما ارتباط، فكانت هذه البلية سبباً لمعرفة الله (عز وجل) والإدلال عليه، فضلاً عن العودة إليه والتوبة.

إذا فالبلية تارة تكون بمثابة المنبه وجرس الإنذار الذي يحذر الإنسان عقاب الله ويذكره بالله واليوم الآخر. فأكثر الناس في غفلة، فكم نسمع ونرى أن شخصاً مشتغل طيلة يومه وليلته بغيبة الناس وأكل لحومهم، وإذا به فجأة يبتلى بوجع الأضراس فيكفه عن الكلام،

---

(١) سورة الروم : الآية : ٣٣ .

(٢) بحار الأنوار (باب التوحيد) .

ويلزمه الصمت ليلة ونهاره لا يقدر حتى على التفوه بينت شفة خوفا من دخول شيء من الهواء البارد في فمه، فيزداد وجعه وألمه.

وهكذا كثير من البلايا اليومية تكون منبها للإنسان وعبرة كي يتورع عن قبيح فعله ويتوب إلى الله، لكن هل من معتبر؟..

حادث سيارة يرجعها إلى التوبة

ومن الشواهد القريبة التي تؤكد ما نقول... ما حدث أخيراً، ما نقلته إحدى المجلات عن ممثلة ومغنية وراقصة ظهرت على شاشة التلفزيون ترقص شبه عارية، لا تعبأ بشيء اسمه حلال أو حرام، أنها تعرضت لحادث سيارة مروع في طريق سفرها أدى إلى إصابتها بكسور فادحة وجروح كثيرة، مما أدى إلى رقودها في المستشفى أشهراً لا تتمكن من المشي فضلاً عن الرقص، فاستشعرت رحمة الله التي لولاها لكانت في عداد الموتى، وتحسست فضله حيث كتب لها عمراً جديداً، فأعلنت التوبة وصممت على الرجوع إلى الله، وأن تصلي وتصوم وتحج وتقوم بالأعمال الصالحة.

فإن هذه القصة تدل على أن البلاء كثيراً من الأحيان ما يكون منبهاً ومنذراً، لكن هل من مستفيد؟.

ثالثا : التكفير عن السيئات

المؤمن كثيراً ما يذنب ويخطئ من حيث يشعر كأن يكون متعمداً، أو من حيث لا يشعر كأن يكون حينها ساهياً أو ناسياً أو غافلاً وجاهلاً.

وهذه الخطايا والذنوب لا تذهب سدى، بل تسجل وتحفظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، تسجل من قبل الملكين

الحافظين للأعمال والأقوال، وتبقى هذه الذنوب في رقبته تثقل ظهره يترقب شيئاً يدفعها عنه، فيأتي الله (سبحانه وتعالى) ويلحق بعبده شيئاً من البلاء في بدنه أو ماله أو أهله ليزحزح الذنوب عنه، ويكفر به سيئاته، ويمحو خطاياه، رحمة به ورأفة، فصار البلاء - هنا- نعمة أكثر من أن يكون نقمة.

فالصائم مثلاً إذا أفطر عمداً في شهر رمضان وجبت عليه كفارة: إما عتق رقبة أو صيام شهرين متتالين أو إطعام ستين مسكيناً، لماذا؟ أليس تطهيراً لذنبه ومحواً لخطيئته وكفارة لإفطاره؟ وإلا لماذا سميت كفارة؟

فالمؤمن لا ينزعج بكون البلية ثقيلة أو عظيمة، لأنه يعتقد أنه ربما تكون كفارة عن سيئاته، وتصفية له من ذنوبه، كي يرد الجنة طاهراً نظيفاً وليس عليه شيء.

قال الله (تعالى) في حديث قدسي:

(ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلى ابتليته في جسده، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند موته، حتى يأتي ولا ذنب عليه) (١)

وقال (تعالى) أيضاً في حديث آخر:

(وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من عبادي من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها: إما بسقم في جسده، وإما بخوف في دنياه، فإن بقيت عليه بقية شددت عليه الموت) (٢)

---

(١) كلمة الله .

(٢) كلمة الله .

فهاتان الروايتان دلتا على أنواع التكفير ونحن نوضحها بتفصيل:

المرض كفارة

أشار الحديثان السالفان على أن المرض قد يكون كفارة حيث قال (سبحانه): (... إلا ابتليته في جسده)، أو في الحديث الثاني: (إما سقم في جسده).

وقال أمير المؤمنين (ع) ذات مرة لبعض أصحابه في علة اعتلها: (جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه[1]، ولكنه يحط من السيئات ويحتها حت الأوراق) [2]

وعن الرضا (ع): (المرض للمؤمن تطهير ورحمة وللكافر تعذيب ولعنة، وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى ما يكون عليه ذنب [3]

وعن النبي (ص) أنه قال: "إذا مرض المسلم كتب الله له كأحسن ما كان يعمل في صحته، وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر"[4]

عن أبي إبراهيم (ع) [5] قال: قال رسول الله (ص): "للمريض أربع خصال: يرفع عنه القلم، ويأمر الله الملك فيكتب له كل فضل كان

---

(١) تحقيق : الملاحظ حسب الظاهر أن فقرة لا أجر فيه تناقض مقولة الصادق (ع) لو يعمل المؤمن ... لكن الواقع ليس بينهما تناقض، ويظهر ذلك عند أدنى تؤمل فيهما ... حيث عبر الصادق (ع) الأجر في المصائب والثانية نفي الأجر في المرض ، والشيء الآخر ربما أن المرض من حيث هو ليس فيه أجرٌ لكن عند الصبر عليه يكون الأجر ، فتأمل .

(٢) بحار الأنوار ج٦٩ ص ١٩ .

(٣) مكارم الأخلاق ص ٣٥٨ .

(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٥٨ .

(٥) أبو إبراهيم : يعني الكاظم (ع)

يعمله في صحته، ويتبع مرضه كل عضو في جسده فيستخرج ذنوبه منه، فإن مات، مات مغفوراً له وإن عاش عاش مغفوراً له"[1]

عن أبي عبد الله (ع) قال: (صداع ليلة يحط كل خطيئة إلا الكبائر) [2]

بل ورد أن مرض الأولاد كفارة للوالدين، لأنهما هما اللذان يتأذيان في مرضه بالسهر عليه وتمريضه وخدمته.

عن أمير المؤمنين (ع) في المرض يصيب الصبي قال: (كفارة لوالديه) [3]

فيظهر من جملة هذه الروايات أن الإبتلاء بالمرض بالنسبة للمؤمن يكون كفارة له، وأن المرض قد يكون صداعاً، أو مرض البطن أو أي عضو آخر، لأن الروايات أبانت عن مطلق المرض، لكن أكثر ما يبتلى المؤمن بالحمى وهي دائما للمؤمن تكون كفارة.

الحمى تَحتّ الذنوب

عن أبي عبد الله (ع): قال: (حمَّى ليلة كفارة لما قبلها ولما بعدها) [4]

عن علي بن الحسين (ع) قال: (حمَّى ليلة كفارة سنة، وذلك لأن

---

(١) مكارم الأخلاق ص٣٥٨ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٦١ .
(٣) سفينة البحار (باب مرض) .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٥٨ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٥٨ .

ألمها يبقى في الجسد سنة) [٥]

عن علي بن الحسين (ع) قال: (نعم الوجع الحمى، يعطي كل عضو قسطه من البلاء، ولا خير فيمن لا يبتلى) [١]

ذكر السيد هاشم البحراني (رح) عن ابن شهر آشوب، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله يحدث عن آبائه (ع) أن مريضاً شديد الحمى عاده الحسين (ع) فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل، فقال له: رضِيتُ بما أوتيتم حقاً والحمى تهرب عنكم. فقال له الحسين (ع): والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا، قال: فإذا نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك، قال (ع): أليس أمير المؤمنين أمرك أن لا تقربي إلا عدواً أو مذنباً لتكون كفارة لذنوبه فما بال هذا [٢] ؟. وكان المريض عبد الله بن شداد الليثي.

سقط من الكرسي لنسيه البسملة

في تفسير الإمام الصادق (ع): ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا بسم الله الرحمن الرحيم، فامتحنه الله بمكروه لينبهه على شكر الله، والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة [٣] تقصيره عند تركه قوله: بسم الله الرحمن الرحيم قال (ع): وقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين (ع) وبين يديه كرسي فأمره (ع) بالجلوس عليه ،

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٥٧ .

(٢) مدينة المعاجز .

(٣) الوصمة : هو العيب والعار .

فمال به حتى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه فسال الدم فأمر أمير المؤمنين (ع) بماء فغسل عنه ذلك الدم ثم قال (ع) أدن مني فدنا منه فوضع (ع) يده على موضحته وقد كان يجد ألمها مالا صبر له، ومسح يده عليها وتفل فيها حتى إندمل وصار كأنه لم يصبه شيء قط ثم قال أمير المؤمنين (ع) يا عبد الله الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم لتسلم لهم طاعتهم ويستحقوا عليها ثوابها فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين إنا لا نجازى بذنوبنا إلاّ في الدنيا؟ قال (ع): نعم أما سمعت قول رسول الله (ص) الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن الله يطهر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم من المحن وبما يغفره لهم فإن الله تعالى يقول: "ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" حتى إذا ورد القيامة توفرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم فقال عبد الله بن يحي: يا أمير المؤمنين قد أفدتني وعلَّمتني فإن رأيت أن تعرفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله قال عليه السلام: تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعل الله ذلك بسهوك عما ندبت إليه تمحيصا بما أصابك أما علمت أن رسول الله (ص) حدثني عن الله عز وجل أنه قال كلُّ أمر ذي بال لم يذكر اسم الله فيه فهو ابتر فقلت بلى بأبي وأمي لا أتركها بعدها

---

(١) القرآن دراسة عامة.

(٢) ... (تكملة الرواية) ثم قال عبدالله يا أمير المؤمنين ما تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال عليه السلام إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً يقول بسم الله أي بهذا الإسم أعمل هذا العمل فكل عمل يعمله يبتدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم .

قال (ص): إذا تحظى بذلك وتسعد .... [1][2]

الهَمْ كفارة

قد يكفر الله (سبحانه) ذنوب عباده بتسليط الهموم عليهم، فالحزن والكآبة والتعب النفسي الذي يطرأ تارة على الإنسان قد يكون كفارة لخطاياه.

قال النبي (ص): "إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله تعالى بِهمٍ ليكفرها". [1]

قال الصادق (ع): من كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به إبتلاه الله عز وجل بالحزن في الدنيا ليكفرها به فإن فعل ذلك، وإلا عذبه في قبره فيلقى الله عز وجل يوم يلقاه وليس شيئ يشهد عليه من ذنوبه[2].

شدة الموت كفارة

شدة الموت أو ميتة السوء أو شدة النزع والقبض للمؤمن كفارة لسيئاته، كما أشار الله (سبحانه) في الحديثين القدسيين السابقين عند قوله:

(فإن بقيت عليه بقية شددت عليه الموت).

أو: (فإن كان ذلك [3] كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند موته، حتى يأتي ولا ذنب عليه).

رجل بعضه تحت حائط وبعضه خارجه

ولقد وردت في هذا الشأن قصة عن أهل البيت (ع)، عن أبي

---

(١) أصول الكافي . (٢) بحار الأنوار ج٦٩ هامش ص ٧١ .
(٣) أي (الإبتلاء في الجسد كما مر) .

جعفر (ع) قال: مر نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارجه، نقبته الطير ومزقته الكلاب ثم مضى، فرفعت له مدينة فدخلها فإذا هو بعظيم من عظمائها ميت على سرير مسجى بالديباج حوله المجامر، فقال: يارب أشهد أنك حكم عدل لا تجور، عبدك لم يشرك بك طرفة عين أَمَتَّه بتلك الميتة، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أَمَتَّه بهذه الميتة؟ قال الله (عز وجل): (عبدي، أنا كما قلت حكم عدل لا أجور، ذاك عبدي كانت له سيئة وذنب، أمته بتلك الميتة حتى يلقاني ولم يبق عليه شيء، وهذا عبدي كانت له عندي حسنة فأمَتّه بهذه الميتة لكي يلقاني وليس له عندي شيء [1]

ملك يموت بسمكة وآخر يحيى بها

عن أمير المؤمنين (ع) قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: كان فيما مضى ملكان: مؤمن وكافر، فمرض الكافر فاشتهى سمكة في غير أوانها- لأن ذلك الصنف من السمك كان يومئذ في اللجج [2] حيث لا يقدرعليه- فآيسته الأطباء من نفسه وقالوا: استخلف من يقوم بالملك، فإن شفاءك في هذه السمكة ولا سبيل إليها، فبعث الله ملكا أمره أن يزعج السمك إلى حيث يسهل أخذها، فأخذت له فأكلها وبرئ.

ثم إن ذلك المؤمن مرض في وقت كان جنس ذلك السمك لا يفارق الشطوط [3] مثل علة الكافر، فوصف له الأطباء تلك السمكة وقالوا:

---

(١) بحار الأنوار .

(٢) اللجج : الأعماق وظلمات البحر .

(٣) الشطوط : من الشط أي ساحل البحر .

طب نفساً، فهذا أوان وجودها، فبعث الله ذلك الملك، وأمره أن يزعج ذلك السمك، حتى يدخل اللجج حيث لا يقدر على صيده، فعجب من ذلك ملائكة السماء وأهل الأرض، حتى كادوا أن يفتتنوا، فأوحى الله إلى ملائكة السماء، وإلى نبي ذلك الزمان في الأرض: (أني أنا الكريم المتفضل القادر، لا يضرني ما أعطي ولا ينفعني ما أمنع، ولا أظلم أحداً مثقال ذرة، أما الكافر فإنما سهلت له أخذ السمكة في غير أوانها ليكون جبراً على حسنة كان عملها إذ كان حقا علي أن لا أبطل لأحد حسنة حتى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته، ويدخل النار بكفره، ومنعت العابد من تلك السمكة بعينها لخطيئة كانت منه أردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة وإعدام ذلك الدواء، ليأتيني ولا ذنب عليه فيدخل الجنة) [1]

الموت هو الحمام الأخير

دخل علي بن محمد الهادي (ع) على مريض يبكي بين أصحابه ويجزع من الموت فقال له (ع): يا عبد الله تخاف الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت بما عليك من الوسخ والقذر عليك، وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في الحمام يزيل عنك ذلك كله، أما تريد أن تدخله فتغسله ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟. قال: بلى يا بن رسول الله، قال: فذلك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته

---

(١) كلمة الله .

فقد نجوت من كل غم وهم وأذى ووصلت إلى كل سرور وفرح، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه وقضى لسبيله [1].

رابعا: زيادة الأجر والحسنات

قد يكون الغرض من الإبتلاء هو رفع الدرجات وزيادة الحسنات والأجر.

قال الإمام الصادق (ع) : لعبد الله بن يعفور لما شكى إليه كثرة مايلقى من الأوجاع والأسقام يا عبد الله لو يعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنى أنه قرض بالمقاريض [2] .

قال الإمام الصادق (ع) : إن المؤمن ليذكره الله الذنب بعد بضع وعشرين سنة حتى يستغفر الله منه فيغفر له [3].

عن أبي عبد الله (ع): قال: إنّ في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالإبتلاء في جسده[4].

خامساً: التزهيد في الدنيا

الملاحظ أنه إذا كثرت المحن وتراكمت المصائب واشتد البلاء وطال أمده، تململ الإنسان من الحياة وتضجر منها وبدأ يبغضها ويكرهها ويتطلع إلى دار أفضل منها، إلى دار لا عذاب فيها ولا شدة ولانصب فيها ولا صخب، ألا وهي دار الآخرة، الجنة التي تحمل جميع أنواع الراحة وألوان المتعة والسعادة، فيعقد آماله لها ويسعى نحوها،

---

(١) المحجة البيضاء .

(٢) بحار الأنوار ج٦٤ ص ٢١٢ .

(٣) مكارم الأخلاق ص ٣١٤ . (٤) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٥ .

كالذي يكون لديه بيت ذا غرفتين مثلاً، غرفة حسنة مجهزة بوسائل الراحة، وأخرى سيئة قديمة البناء، فإذا سكن في البدء الدار السيئة فرأى المياه تهطل عليه من السقف أو أنابيب المياه، وسمع أصوات الفئران تأكل خشب سريره وملابسه، وشم رائحة المجاري (البالوعة) تنفذ داخل غرفته، وصبغ الغرفة تتساقط أوراقه واحدة تلو الأخرى، حينها تراه يتذمر ويشكو من هذه الدار، ويتطلع إلى دار ليس فيها كل ما رآه في غرفته الأولى.

فلولا البلاء لما اشتعل فتيل الرغبة في الآخرة، ولما حس بالفارق بينهما.

سادساً: التأديب

من البلاء ما يكون للإنسان كسوط تأديبي وفركة أذن [1] يتحسس به خطأه ويكف به عن تجاوزاته.

من كلام الإمام الصادق (ع) للمفضل بن عمر الجعفي في علة فقد نعمة العين التي بها يميز بين المنظر الحسن والقبيح وغيرها، وكذلك في علة فقد السمع وما يلحقه من الضرر من الحرمان من لذة الأصوات والألحان والأخبار... قال (ع): (ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه، كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم، بل يحمد من رأيهم ويتصوب من تدبيرهم) [2]

فالإمام (ع) قد بين في جوابه أن في فقد العين أحياناً تأديباً له ولغيره لما قام به من عمل سيئ أو ظلم معين فلا يكرره

(١) مثل خليجي يرمز للإيذاء والتأديب بشيء قليل ... وفركة أذن إلتواء الأذن .
(٢) توحيد المفضل .

مرة أخرى.

مغن مات بسرطان الحلق

ذكرت جريدة الوطن الكويتية في عددها ٥٤٧٨ بتاريخ ١٧ / ٥ / ١٩٩٠ م : أنه توفي المغني الأمريكي الاستعراضي سامي ديفيزجي آران أمس عن عمر يناهز ٦٤ عاماً بعد صراع استمر ثمانية أشهر مع مرض سرطان الحلق.

فالملاحظ من الخبر أن البلاء والمرض لم يصبه إلا في حلقه في الجهاز الذي يستخدمه في الغناء المحرم، أفليس هذا كان تأديباً وموعظة له ولغيره؟.

سابعاً: الإصلاح

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (١)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢)

هاتان الآيتان دلتا على أن من أسرار البلاء إصلاح النفس وتهذيبها، فما النقص من الأموال والأنفس والثمرات والإبتلاء بالخوف والجوع إلا تربية للإنسان على التحمل والصبر وترك الجزع

---

(١٠٤) سورة آل عمران : الآية : ١٨٦ .

(١٠٥) سورة البقرة : الآية : ١٥٥ .

وإصلاحاً لذاته.

فالنفس كالأرض تحتاج إلى إصلاح من حرث وغرس وسقي... الخ.

فلو ابتلي المؤمن بزوجة سيئة الأخلاق وبذيئة اللسان فكظم غضبه وتحمل أذاها، صار ذلك سبباً لتغيير صفاته السلبية ورُقيّه إلى مدارج الكمال، وطريقاً لحيازته على فضيلة الحلم والصبر عوض الغضب والجزع.

لأن الإنسان كثيرا ما يتعلم الأخلاق ممن لا أخلاق له، فمثلاً لو ابتلي الوالدان بولد مجنون أو ناقص العقل، أو بنت مشلولة وما شاكل ذلك من العاهات الشديدة، فتحملا ما يلقياه من نفور وشماتة واستهزاء من قبل الناس، وصبرا على خدمته وتربيته كان ذلك سببا لسعة الصدر وطول البال... وغيرها من الصفات الحسنة التي تكون مفتاحاً لكل خير.

وهكذا حينما يصاب الإنسان بمرض عسير كالسرطان أو السكري أو الشلل، ولم يجد له علاجاً لا من قريب ولا من بعيد، ولم تغنه أمواله وسلطته من شيء فإنه سيشعر بضعفه وفقره إلى الله، وأنه مهما أوتي من أموال وقوة فهو ضعيف، وأن الأمور كلها بيده (سبحانه)، فيخاف الله ويرق قلبه ويحن على الفقراء و المساكين.

لذا نرى المؤمن كثيرا ما يبتلى بجار سيئ، أو زوجة عاصية، وهكذا المؤمنة، كي يكون ذلك سبيلا لتحسين ألفاظهم وضبط أقوالهم وأفعالهم.

ونفس هذا الأمر يكون للمجتمع والدولة، فلو ابتليت دولة ما بغزو

أو حرب أو عدو مناوئ يزعزع أمنها، لكان ذلك سببا لقوتها خارجيا وداخليا.

فهي لم تكن لتفكر في توفير جهاز أمني داخلي راقٍ ومتكامل، أو تنظيم جيش جرار أو تهيئة ترسانة حربية، وجلب المعدات الثقيلة القتالية قبل ذلك، فكان الخوف سببا للقوة.

وكذلك الأمر للمسلمين أيضاً فلولا الأنظمة الجائرة والسلطات الطاغية وصراعهم معها، لما قويت شوكتهم وتشكلت جماعاتهم وتلاحمت صفوفهم.

ثامنا: دفع الضرر

لو أصبت بأذى بسيطاً أو بلية صغيرة فوَقَتك أذى أكبر وكارثة أعظم أفلم تكن هذه البلية الصغيرة حينئذ نعمة ورحمة؟.

رجل يفقد ديكه وكلبه وحماره

ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه زهر الربيع: أنه كان رجل بالبادية وله حمار وكلب وديك،ولكل منهم عمل يخدم به صاحبه، فالديك يوقظه والكلب يحرسه إذا نام والحمار يحمل أثاثه وأكله إذا رحل، فجاء ثعلب فأكل الديك، فقال: عسى أن يكون خيرا، ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار، فقال: عسى أن يكون خيرا، ثم أصيب [1] الكلب بعد ذلك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، عسى أن يكون خيرا.

---

(١) أصيب : أي أصيب بداء فمات .

(٢) أغير : من الغارة : أي شنت عليهم غارة .

(٣) أخذوا : أي نهبت أموالهم ودوابهم وقتلوا .

قال: ثم أخبر جيرانه من الحي أُغير [٢] عليهم فأخذوا [٣]، فأصبح ينظر إلى منازلهم وقد خلت، فقال: إنما أخذوا بأصوات دوابهم، فكانت الخيرة في هلاك ما عندي، فمن عرف لطف الله رضي بفعله.

فلولا هلاك الحيوانات لكان هلاكه، فموت الديك والحمار والكلب ألَمْ يكن صارفا لموته؟.

تأخر عن الباص فنجى من الموت

نقل أحد الثقات المؤمنين أن رجلاً مؤمناً أراد السفر من طهران إلى أصفهان عبر سيارة النقل الجماعي (الباص)، فقطع تذكرة السافر، وكانت الرحلة تستغرق ست ساعات تقريباً، ويتخلل تلك المدة توقفات قصيرة للصلاة والوجبات وقضاء الحاجة، فلما وصل الباص إلى مدينة قم حيث كانت على طريق أصفهان، توقف بمقدار نصف ساعة تقريبا كيما يقضي المسافرون مآربهم، فنزل الناس وذهب كل لشأنه، أما الرجل المؤمن فقد فكر في اغتنام فرصة الراحة بزيارة السيدة المعصومة فاطمة بنت موسى بن جعفر (ع)، حيث كان مرقدها قريباً من محطة الباص بدلا من جلوسه دون غرض، فذهب إلى المرقد الطاهر فقرأ الزيارة المخصوصة بها وصلى ركعتيها ثم عاد إلى الباص، وقد استغرق منه ذلك كل مدة الإستراحة إلا خمس دقائق تقريباً، فلما وصل المحطة فوجئ أن الباص قد تحرك قبل الموعد المحدد بدقائق، فانزعج كثيرا وقرر اللحاق به بأول سيارة للأجرة كي يحاسبه على صنعه ويضمن أمتعته وأغراضه.

فلما أدركه... رأى الباص واقفا في وسط الطريق والركاب قد نزلوا منه إلى أطراف الشارع، فسألهم ليعرف الأمر، فتبين أن الباص قد اصطدم بعمود مسلح بالحديد والإسمنت، مما أسفر عنه وفاة أحد الركاب، فجاء عند الميت ووقف يتأمله وينظر دماءه كيف ملأت الشارع، والناس بين بكاء وهلع وفزع، إذ سمع رجلاً يقول: يا سبحان الله، إنه الآن قد ركب في محطة مدينة قم، فسأله: في أي كرسي كان جالساً، قالوا: هذا، وإذا به نفس الكرسي الذي نزل عنه في قم، فوقعت الضربة به، فقال: الحمد لله على نعمته.

تاسعاً: بناء الإنسان

من البلاء أيضاً ما يبني الإنسان ويفتح عقله ويفجر طاقاته ويستنهض مواهبه.

منذ الأمد البعيد شاعت حكمة: أن الحاجة أم الإختراع، وهذا حقيقة صحيحة لا غبار عليها، حيث الحاجة تدفع الإنسان للتفكير وتكون سببا للإختراع.

كذلك البلية إذا نزلت بالإنسان دفعته للتفكير المتواصل والتركيز القوي، وإثارة العقل في استغلال المواهب والطاقات بالأساليب والوسائل اللائقة لرفع هذه البلية، وإليك بعض الوقائع التي تؤكد هذا المعنى.

خاف صوت الرعد فصار فلكياً

أجريت مقابلة عبر الإذاعة الكويتية مع (صالح العجيري) أحد علماء الفلك الكويتيين المشهورين، فطرحت عليه بعض الأسئلة التي

تتعلق بمجاله، فكان من جملتها: ما الأمر الذي دعاك للتخصص في علم الفلك من دون غيره؟ فأجاب قائلا: في الحقيقة لأني يوم كنت طفلاً كنت أخاف البرق وصوت الرعد والعواصف وتقلبات الجو، حتى أرتعش من شدة الخوف، فكان هذا الخوف دافعاً لي لدراسة الحالات الجوية وأسبابها وعلاقتها بالنجوم والكواكب.

انقطع سير المحرك فوضع غترته [1]

لو سألت رجلا اليوم لديه سيارة: ماذا يفعل لو قطع سير محرك سيارتك (الغايش) عليك في الطريق بالمدينة؟ يقول: سأبحث عن أقرب ورشة أو كهربائي كي يصلحها. فلا يفكر في حل المشكلة بنفسه بل يعتمد على غيره... لكن لو انقطع هذا السير به في صحراء قاحلة، حيث لا مُصَلّح ولا مأوى فماذا كان يصنع؟ أليس سيفكر ويصب تفكيره ويعصر مخه حول هذه المشكلة إلى أن يهتدي إلى حل؟ فهذا التفكير سيقوده إلى الاكتشاف والتقدم.

وهذا بالفعل ما حصل لأحد الأصدقاء لما قطع به سير محرك سيارته في سفره، جعل يحاول ويفكر بكل أسلوب ووسيلة كي يُشَغّل سيارته، حتى اهتدى إلى أن يلف غترته ويجعلها كالسير ثم يلفها حول بكرة المحرك، فصنع ذلك وحاول عدة مرات فاشتغلت أخيراً.

عاشراً: الرفعة والترقي

قد يكون البلاء سلماً للترقي ومدرجا للإرتفاع بدرجات الإيمان

---

(١) غترة: خرقة توضع على الرأس ... وهي من الزي الرئيسي الخليجي لدول الخليج.

والعلم والجنة.

قال الإمام الصادق (ع) : (إنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين: إمَّا بذهاب ماله أو بلية في جسده) [1]

من هنا نرى أن العباس بن علي بن أبي طالب (ع)، لولا ما لاقاه من البلاء والمحن في نصرة الحسين (ع) في كربلاء، لما بلغ تلك الدرجة العالية التي يغبطه عليها جميع الشهداء والأولياء والصالحين.

قال الإمام زين العابدين (ع) : (رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة) [2]

وقال الإمام الصادق (ع) : (كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً) [3]

وهذا النبي إبراهيم (ع) كان بلاؤه سببا لرقيه وبلوغه درجة الإمام، التي هي أعلى من النبوة - كما حقق في محله -.

قال الله (تعالى) :

---

(١) مشكاة الأنوار ص٥٠٧ .

(٢) العباس (للمقرم) .

(٣) العباس (للمقرم) .

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (١)

وقد يتهم البعض بعدم الاجتهاد أو قلة العلم أو غير ذلك من التُّهَم في علمه أو دينه أو أخلاقه فيكون ذلك سبباً محرضاً لتعمُّقه واجتهاده في ذلك المجال الذي اتهم فيه وتفوقه على بقية أقرانه.

الحادي عشر: معرفة النواقص والعيوب

من أسرار البلاء أنه يكشف للإنسان عيوبه النفسية والخلقية والقولية، ويوضح له أخطاءه، بالطبع إنما يكشف له ذلك إذا فكر واعتبر ودرس البلاء وقيمه فانتفع، وإلا من مر عليه مرور الكرام لم ينتفع به.

قال أمير المؤمنين (ع) : (ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة) (٢)

فمثلا قد يكون المرء ضعيف اليقين بالله وبنعيمه ورزقه أو وعده ووعيده، فيبقى غافلاً عن هذا النقص أمداً من الزمن، فإذا ابتلي بنوع من البلاء ينكشف له ضعفه.

عابد انقطع رزقه

كان في لبنان (٣) رجل من العباد منزويا عن الناس في غار في ذلك الجبل، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على

---

(١) سورة البقرة : الآية : ١٢٤ .

(٢) نهج البلاغة : خطبة ١٨٦ .

(٣) ذكر هذه الحادثة السيد نعمة الله الجزائري في كتابه زهر الربيع

نصفه ويتسحر بالنصف الآخر، وكان على ذلك الحال مدة طويلة لا ينزل من ذلك الجبل أصلاً، فاتفق أن انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي، فاشتد جوعه وقل هجوعه، فصلى العشاءين، وبات تلك الليلة بانتظار شيء يدفع به الجوع فلم يحصل له شيء.

وكان في أسفل ذلك الجبل قرية سكانها نصارى، فعندما أصبح نزل إليهم واستطعم شيخا منهم، فأعطاه رغيفين من خبز الشعير فأخذهما، وتوجه إلى الجبل.

وكان في دار ذلك الرجل النصراني كلب أجرب مهزول، فلحق العابد ونَبَح عليه وتعلق بأذياله، فألقى إليه العابد رغيفاً من ذينك الرغيفين ليشتغل به عنه، فأكل الكلب ذلك الرغيف ولحق العابد مرة أخرى وأخذ في النباح والهرير، فألقى إليه العابد الرغيف الآخر، فأكله ولحقه مرة ثالثة واشتد هريره وتشبث بذيل العابد ومزّقه، فقال العابد: سبحان الله، إني لم أر كلبا أقل حياءً منك، إن صاحبك لم يعطني إلا رغيفين وقد أخذتهما، فماذا تطلب بهريرك وتمزق ثيابي؟.

فانطق الله (تعالى) الكلب فقال: أنا لست قليل الحياء، إعلم أني ربيت في دار ذلك النصراني أحرس غنمه وأحفظ داره، وأقنع بما يدفعه إلى من خبز أو عظام، وربما نسيني فأبقى أياماً لا آكل شيئاً، وربما يمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئاً ولا لي، ومع ذلك لا أفارق داره منذ عرفت نفسي، ولا توجهت إلى باب غيره، بل كان دأبي أنه إن حصل لي شيء أكلت وشكرت، وإلا صبرت. وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان لك

تحمل، حتى توجهت من باب رزاق العباد إلى باب نصراني، وطويت كشحك من الحبيب، وصالحت عدوه المريب، فقل لي: أينا أقل حياءً أنا أم أنت؟ فلما سمع العابد ذلك ضرب بيده على رأسه وخر مغشياً عليه.

فهذا البلاء عرَّف العابد وكشف له ضعف يقينه برزق الله (خصوصاً وهو على درجة عالية من العبادة وكان يتفضل الله عليه بالرزق)، فينبغي أن يكون اليقين كذلك، وإلا كانت عبادته خاوية من الجوهر.

الثاني عشر: معرفة نعم الله وحقوقها

نعم الله على الإنسان كثيرة لا يقدر أحد على إحصائها:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾(١)

لا إحصاءها فقط، بل لا يقدر أحد حتى على تصوّرها وفهمها، قال الإمام زين العابدين (ع) في مناجاة الشاكرين:

(فآلاؤك جَمَّة ضعف لساني عن إحصائها ونعماؤك كثيرة قَصُر فهمي عن إدراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يَفْتَقِر إلى شكر فكلما قلت لك الحمد وجب عليَّ لذلك أن أقول لك الحمد)(٢)

وأكثر الناس غافل عنها وعن واجبه إزاءها، فهذه نعمة الصحة والعافية كم منا من يتحسسها ويشكر الله عليها؟ قليل.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: ٣٤.

(٢) الصحيفة السجادية.

كما روي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) : (شيئان لا يعرف فَضْلُهما إلا من فَقَدَهُما : الشباب والعافية) [1]

فترى كثيرا من الناس من يمضى عمره وهو لا يعي هذه النعمة، فضلا عن شكر الله عليها، فمن حكمة الله ورحمته أن يبعث لهؤلاء الغافلين شيئا من البلاء تعريفا بنعمه وتحريضاً لشكرها.

﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [2]

فلو أصيب شخص بمرض الزكام مثلا فانغلق أنفه لكثرة ما تجمع فيه من مخاط، ففقد حاسة الشم ولم يقدر على تمييز الرائحة الطيبة من الرائحة النتنة، فصار يأكل لكن دون شهية ولذة، ويشرب لكن دون استعذاب واستساغة، فعندها كم يتحسر على هذه الحاسة، وكم يستعظمها؟ فلولا الزكام لما استشعر وأدرك عظم حاسة الشم.

وهكذا سائر أنواع البلاء قد لا يكون الغرض منها إلا إشعاراً بنعم الله وفضله، فضلاً عن أن البلاء نفسه نعمة، كما قال الإمام العسكري (ع) :

(ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها) [3]

الثالث عشر: معرفة النبي (ص) وآله والأنبياء والأولياء

من الممكن أن البلاء يكون غايته تعريف الشخص بمقام أحد الأنبياء أو الرسل أو الأئمة (ع) أو الأولياء والعلماء والصالحين، أما

---

(١) مسؤولية الشباب .

(٢) سورة النمل : الآية : ٤٠ .

(٣) تحف العقول .

تعريفه بمقامهم أو منزلتهم أو حقهم أو غير ذلك من الغايات .

قصة بيبي حكيمة

كثيرا ما كانت جدتي العلوية رحمها الله ووالدتي الموقرة أطال الله عمرها تحدثاني عن مقام السيدة بيبي حكيمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) وأخت الرضا، تلك السيدة التي وافاها الأجل عند قدومها من المدينة إلى أخيها الإمام الرضا (ع) في طوس بعد توليه ولاية العهد في زمن المأمون ظناً منها أنه إستتب الأمر لأخيها إلا أن المأمون جعلها مكيدة وجعل يطارد العلويين فقتل من قتل، وشُرِّدَ من شُرِّدْ ومن جملة الذين وقع عليهم ذلك الظلم السيدة معصومة قم التي قتلت مسمومة وكذلك السيدة حكيمة حيث لجأت إلى جبل هي وخادمتها وماتت في جنوب إيران قرب بندرديلم وقناوه و في أوائل التسعينات قصدت زيارة الإمام الرضا ومعصومة قم (ع) فلما نزلت في مطار طهران استأجرت سيارة أجرة لكي توصلني إلى قم فصادفني شخص يتكلم العربية فركبت معه أنا وعائلتي وفي الطريق جرى الحديث بيننا وبينه فتبين لي أن صاحب السيارة كان من البدون الذي استقروا في إيران بعد غزو النظام العراقي للكويت وأنه يعمل حاليا مندوب للحملات الكويتية حيث يقوم باستقبالهم في مطار طهران ثم يتكفل بحجوزاتهم سواء كانت للطيران أو الفنادق ويشرف على تنقلهم في المزارات المقدسة والمناطق السياحية في إيران.

وفي أثناء الحديث ذكرت له أمنيتي لزيارة السيدة بيبي حكيمة

(رض) وسألته عن الطريق للوصول إليها فأخبرني أنه تذهب إلى شيراز وبعدها إلى بندر قناوه ثم تستأجر سيارة إلى بيبي حكيمة وقال لي إن لي قصة عجيبة مع هذه السيدة قلت وما هي؟ فبدأ يشرع لي في سردها وقال: إحدى السنوات جاءني اتصال من الكويت بأن أتهيّأ لإستقبال حملة قادمة من الكويت بعد كذا يوم يقول: وكنت أنا في قلق شديد وحزن كبير، وغير متشجع لاستقبال هذه الحملة والسبب أني أحببت فتاة جميلة وخطبتها منذ مدة من الزمن وكنت أود أن أتزوجها فطلبوا مني مهراً وقدره خمسمائة ألف تومان، وكنت أمتلك هذا المبلغ إلا أنني كنت أقرضته شخصاً من أصحابي محتاجاً، فتأخر علي بإرجاعه وكلما راجعته يتعذر ويماطل إلى أن اتصل بأهلي أهل الفتاة التي أردت أن أتزوجها وذكروا لأهلي أن كثيراً من الناس يتقدموا لخطبتها وأنهم يعتذرون منهم رجاء تقدمي إليها، وأنهم عازمون على تزويجها من غيري إن لم أتقدم فضاقت بي الأرض، ووقعت في حيرة بين الذهاب مع هذه الحملة والتكفل بشؤونها وبين الخوف من خسران هذه الفتاة وتزوجها بغيري بسبب فقداني لذلك المهر، الذي كلما طالبت به صاحبي جعل يتهرب ويتعذر، ثم قررت الذهاب مع الحملة والقيام بشؤونها حيث أنهم معتمدون عليّ فيه هذه المهمة فأخذتهم إلى قم وأصفهان ثم إلى طهران ومشهد وشيراز وفي الفترة التي كنا فيها في شيراز طلبوا مني زيارة بيبي حكيمة وأنا لم أسمع من قبل بهذه السيدة ولم أزرها إطلاقا ولا أعرف حتى قبرها، فسألت عن قبرها فمنهم من كان يجهل ذلك ومنهم من دلني عليها وعلى طريقها وأنه يجب عليَّ

الذهاب إلى بندر قناوه أولاً ومن ثم إليها يقول: فأستقللت حافلة متوسطة وذهبت بالزوار إليها فلما تجاوزنا بندرقناوه مررنا في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا زرع مخيفة وكنت أقول في نفسي لو توقفت السيارة هنا ماذا كنا سنصنع؟، ثم وصلنا إلى سلسلة جبال وَعِرَة ومخيفة والطريق ضيق وغير مبلط فجعلنا نهبط واديا ونصعد جبلا وهكذا عدة ساعات وقلت يا سبحان الله كيف جاءت هذه السيدة هنا وما منزلتها حتى والناس حتى يقصدونها وبعد مشقة الطريق وتعب السفر وصلنا إلى قبرها وإذ هو قبر في بطن كهف في وادي بين جبلين والماء يجري في أسفل الوادي يقول فنزلنا هناك وزرنا القبر ورأيت الزوار يتضرعون ويطلبون حوائجهم عند قبرها فقلت في نفسي لم لا أطلب حاجتي لعلها تُقْضَى، فطلبت حاجتي وهي أن يُسَهِّل الله لي الحصول على الخمسمائة التي عند صاحبي حتى أتزوج تلك الفتاة التي أريد، ثم قفلنا راجعين إلى شيراز ثم ودعتهم في المطار حيث رجعوا إلى الكويت، وأنا رجعت إلى قم فلما وصلت إلى قم وإذا بذلك الصديق الذي أقرضته، ويئست من حصول القرض منه قد جاءني ومعه المبلغ كاملاً وأعطاني إياه معتذرا على التأخير فتعجبت كثيرا وفرحت فرحا شديدا وذكرت توسلي إلى السيدة بيبي حكيمة وقلت في نفسي والله لولا توسلي بهذه السيدة لما جاءني صاحبي بالأموال ثم جاءني بعد ذلك اتصالا من الكويت وإذا بأحد أصدقائي هناك يخبرني بأنه بعث لي حوالة بنكية من الكويت وكان يسأل عن وصولها إلى الحساب، يقول فراجعت البنك وإذا بالموظف يخبرني بأنه قد وصلت لك حوالة بقيمة خمسمائة

ألف تومان فلم أصدِّق نفسي وشكرت الله كثيرا وصار في قلبي حب شديد للسيدة بيبي حكيمة وتعظيم لمنزلتها.

فهذه المشكلة التي وقع فيها هذا الشاب وهذه المحنة التي ابتلي بها كانت سببا وطريقا لمعرفة مقام إحدى بنات الإمام موسى الكاظم (ع) ونظائر ذلك كثيرا يلتمسها كل من كان محبا وموالیا لأهل البيت (ع).

الفصل السابع

درجات الإبتلاء

في البدء نتساءل: هل للبلاء درجات كما للإيمان والعلم درجات؟.

الجواب: نعم، له درجات وتحدد درجاته حسب الكمية والكيفية، فقد يكون البلاء كثيرا وقد يكون قليلا، فالذي فقد ولداً مثلا أقل بلاء من الذي فقد خمسة أولاد وكذلك الدرجات في الكيف، فتارة يهان بكلمة تمسه أهون ممن يهان بكلمة تمس عرضه.

فكلما زاد البلاء واشتد زاد الأجر والثواب، لأن الأجر على قدر المشقة.

قال الإمام الصادق (ع): (إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء وما أحب الله قوما إلا ابتلاهم) [1]

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص) : "إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحب الله عبدا ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عند الله الرضا ومن سخط البلاء فله عند الله السخط"[2]

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص٢٥٢ .

(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٣ .

وعنه (ع) قال: (المؤمن بمنزلة كفة الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه) [1]

وعن أبي جعفر (ع) قال: (إنما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه) [2]

فالروايتان الأخيرتان كشفتا أن درجة البلاء تتحدد حسب درجة الإيمان والدين، فكلما زاد الإيمان والدين زاد البلاء.

فأكمل الناس دينا وأكثرهم إيمانا هم الأنبياء والأئمة (ع) والأولياء ثم العلماء الفقهاء العدول وهكذا...

قال الصادق (ع) : (إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل) [3]

عن أبي جعفر (ع) قال: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأماثل فالأماثل) [4]

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سئل رسول الله (ص): من أشد الناس بلاءً في الدنيا فقال: "النبيون ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف [5] إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه" [6]

فأشد وأكثر الناس بلاءً هم الأنبياء.

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٤ .
(٢) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٣ .
(٣) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٢ .
(٤) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٣ .
(٥) سخف : أي خفّ وصار خفيفاً غير عميق (أي قليل) .
(٦) أصول الكافي ج٢ ص ٢٥٢ .

لكن السؤال: لماذا يبتلى الأنبياء؟.

الفصل الثامن

فلسفة إبتلاء الأنبياء والمعصومين (ع)

كما بينا فلسفة الإبتلاء بالنسبة للمؤمن، نبين هنا بعض أسباب إبتلاء الأنبياء والمعصومين (ع)

قد عرفنا فيما مضى أن المؤمن إنما يبتلى لتكميل نواقصه أو تكفيراً عن ذنوبه أو اختباراً لإيمانه أو ترميماً لنفسه، فإذا ما بال الأنبياء والأئمة (ع) يبتلون؟ أليسوا معصومين كاملين لا يذنبون ولا يخطئون؟ فلم تنزل عليهم المصائب وتنحدر عليهم البلايا؟.

أولا: عظمة الهدف

لكل هدف مسؤولية، ولكل غاية ثمن، فمن كانت غايته أن يكون عالماً ينبغي أن يقدم الثمن، وهو السهر والمذاكرة وقلة الطعام والشراب، فقد يتمرض بسبب طول السهر، وقد تضعف عيناه لطول القراءة، وقد يتلف بدنه لكثرة الجلوس على طاولة العلم، حتى يصل إلى الدرجة التي يريدها.

فهذا المرض والسهر يعد حسب الظاهر بلاءً، لكنه حسب الواقع

ثمن الهدف الذي رسمه ومسؤولية الغاية التي نصبها لنفسه .

من طلب العلا سهر الليالي يغوص البحر في طلب اللآلئ

فالأنبياء والمعصومون كذلك حيث وضعهم الله أدلاء عليه وخلفاء في أرضه، وحمَّلهم مسؤولية نشر الرسالة وتثبيت أعمدة التوحيد في أرضه، فهذا الهدف ليس هيناً وعليه ينبغي توقع المصائب والبلايا، وترقب التكذيب والسب والإيذاء، فهذه ضريبة الهدف والمنصب القيادي.

ولذلك قال النبي (ص): "ما أوذي نبي مثل ما أوذيت"، لأن رسالته أعظم الرسالات وأعمها وأطولها أمداً، فبقدر رسالته ومسؤوليته يكون بلاؤه، فلذلك فهو أعظم الأنبياء بلاءً لأنه أعظمهم مسؤولية وهدفاً.

لما أخذ مسلم بن عقيل (رض) أسيراً مكبلاً إلى عبيد الله بن زياد (لع) بالكوفة جعل يبكي، فقال له عبيد الله بن العباس: إن من يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبك.

فأشار عبيد الله بن العباس هنا إلى طبيعة من يطلب الحكم والخلافة أو إصلاحها وتغييرها أن يبتلى ويلاقي من الصعوبات والمشاكل والسجون وما إلى ذلك بمقدارها.

ثانيا: عظمة نعمة الله

كلما عظمت النعمة كبرت المسؤولية الملقاة وعظم البلاء، فمن امتلك مثلاً شاة أو شاتين وشيئا يسيراً من الذهب بقدر مؤونته، غير

الذي يمتلك الألوف من الشياة والألوف من مثاقيل الذهب، حيث تقع في عنقه مسؤولية الزكاة والخمس ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وهكذا...

فكذلك نعمة النبوة والإمامة والعلم إذا منحت لإنسان، فإن وراءها بلاء ومسؤولية، وهي قيادة الناس وتوجيههم وتعليمهم وما يصاحبه من مسؤولية... الخ.

قال أمير المؤمنين (ع): (ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت عليه مؤونة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرَّض النعم للزوال).

فواقع الأمر أن البلاء الذي يحف بالنعمة هو ضريبتها ومقدار مسؤوليتها.

ثالثا: سلوة للناس

من طبيعة الإنسان حينما تقع عليه مصيبة يُكَبِّرها ويَنْفُخها، بحيث يتصورها أنها أعظم مصيبة وأكبر فاجعة حلت به، وأنه لم يقع مثلها لأحد، فيعسر حلَّها، ويصعب إيجاد مخرج لها، فهذه الحالة النفسية السلبية هي التي تزيد من المرض وتعطي الجسم القابلية لتفاقمه، فأفضل مهدئ لها هو النظر إلى شخص مصاب بنفس البلاء أو مصاب بأعظم منه، حتى تهون عليه مصيبته وترتفع معنوياته فيتحمل المرض ويقاومه.

وهذا الشيء نَتَلمسه في المستشفى كثيرا، حينما يصاب شخص بجرح بإصبعه، فتجرى له عملية جراحية بسيطة، ثم يرى شخصاً آخر أجريت له عملية قطع اليد، فإن ألم الإصبع يهون عليه.

وكذلك الأنبياء المعصومين والإئمة (ع) ضربوا الرقم القياسي في البلاء، كي يتسلى الناس بهم وتهون فجائعهم عند تذكر مصائبهم، وتكون كل مصيبة تنالهم هينة وبسيطة، لأن ما هو أعظم منها حدثت من قبل للأنبياء والأئمة (ع).

فلو تذكرت فاقدة الولد أم البنين (رض) مثلاً التي فقدت أولادها الأربعة يهون عليها حزنها ويخف بكاؤها، ولو أن من أصيب بمرض تذكر مرض أيوب، وكيف استمر مرضه سبع سنوات لهان مرضه وسهل عليه، ومن تأذى من الإشاعات والسباب فتذكر النبي أو الإمام علي (ع) الذي سب على المنبر طيلة ثمانين سنة تقريباً، لكان السباب عليه هيناً وبسيطاً.

رابعاً: نفي الربوبية عنهم

الإنسان بطبيعته حينما يرى شخصاً لا يخطئ بقول ولا يسيء بفعل ولا يصدر منه خطل ولا زلل، فإنه يغالي به ويعظمه ويقدسه، حتى يوصله إلى درجة الربوبية وينسب له الصفات الإلهية، فيقع في الشرك.

فلو رأى عالماً تقياً عادلاً له فضائل ومكرمات، وليست عليه زلة لأوصله إلى مرتبة الإمامة.

ينقل أن رجلاً اعتقد أن العالم الفاضل السيد محمد بن مهدي بحر العلوم هو الإمام (عج)، وذلك لما رأى له كرامات وتقوى وورع، وكثرة اتصاله بالله وعدم تعرضه للشك والسهو، ومطابقة اسمه ولقبه له أيضاً.

فمرت عليه الأيام وهو على هذا الاعتقاد حتى صلى خلفه في جماعة، فشك السيد محمد مهدي بركعاته فصحَّح له أحد المأمومين ذلك، فعلم ذاك المغالي أنه السيد ليس بالإمام المعصوم (ع) حيث لو كان هو لما شك.

وهكذا الحال بالنسبة للأنبياء والأوصياء حينما يرى الناس أنهم معصومون منزهون عن كل قبيح، وأفعالهم نور وكلامهم نور يغالون بهم ويُألِّهونهم، كما غالى بعض الشيعة في علي (ع) بأن قالوا: أنت ربنا فأمر (ع) بحرقهم.

وغالى بعض الأقوام بالأنبياء فحكى القرآن ذلك بقوله:

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾(١)

وفي آية أخرى يثبت بشريّتهم فيقول: ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾(٢). فليسوا هم أرباباً أو ملائكة، بل هم بشر مثلكم.

فلولا بلاؤهم لما توصل الناس لمعرفة حقيقتهم وهي أنهم ليسوا بأرباب وإنما عباد مكرمون عصمهم الله عن الزلل.

خامساً: الإقتداء بهم

فكل الأنبياء والأولياء ابتلوا، فمنهم من ابتلي بزوجته، ومنهم بأبيه، ومنهن بزوجها، ومنهم بقومه، ومنهم بذهاب ماله وأهله وصحته، ومنهم بولده... الخ، ولكل من هؤلاء الأنبياء والأولياء موقف اتخذه

---

(١) سورة الفرقان: الآية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣٣.

حين نزل البلاء عليه، فلم يكفر بل صبر وأدى ما عليه، فكان ابتلاؤهم قدوة لنا وللناس أجمعين، فعلينا أن نصنع ما صنعوا حين نزل عليهم البلاء.

سادساً: ترك الأولى

الأنبياء لا يعصون، لكن يتركون الأولى أو الأهم، ويعملون بالمهم، فهذا بالنسبة لمقامهم ودرجتهم يعتبر معصية وإن كان في واقع الأمر ليس معصية، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

فالملك مثلاً حينما يلعب ويقفز، ويقوم بحركة مخلة بالأدب يعتبر الناس ذلك خطأً فادحاً، فيتكلمون عليه ويذمونه، بينما لو رأوا ذلك في إنسان عادي لتقبلوه منه.

فهكذا الأنبياء حينما يتركون الأولى يعتبر ذلك في حقهم معصية، لأن النبي حتى الأولى ينبغي أن لا يتركه.

فهذا آدم (ع) حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها كان ترك الأولى، فعاقبه الله وبلاه وأنزله إلى الأرض.

وهذا المسيح ابن مريم (ع) لما رفعه الله (تعالى) إلى السماء الرابعة، زارته الملائكة فوجدوا عليه قميصاً مرقعاً، برقع كثيرة، فضجوا وقالوا: إلهنا ليس يساوي عبدك عندك قميصاً صحيحاً؟ فنودوا: أن فتشوا عيسى، فوجدوا في قميصه إبرة يُرقِّع بها ما يخترق منه. فقال (تعالى): (وعزتي وجلالي لولا إبرته لرفعته إلى

---

(١) زهر الربيع .

السماء السابعة)[1]

فحرصه على الإبرة وكان المفروض كونه نبياً لا يحرص عليها جعله في السماء الرابعة.

سبب فراق يعقوب ليوسف (ع)

رُوِي أن سبب إبتلاء يعقوب (ع) بفراق يوسف (ع) عن أبيه هو ترك يعقوب (ع) الأولى.

رُوِي: أن يعقوب ذبح كبشاً، وأن سائلاً مؤمناً صوَّاماً غريباً اجتاز على بابه عشية، فاستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدِّقوا قوله. فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله (تعالى)، وبات يعقوب وآله بطانا[1] (ففرَّق الله بينه وبين يوسف لذلك).

وهكذا بقية الأنبياء ابتلوا لتركهم الأولى.

وطبعاً في هذا القسم لا يشارك الأنبياء (ع) النبي محمد (ص) وفاطمة والأئمة المعصومين (ع)، حيثُ هم (ع) حتى ترك الأولى لا يقع منهم.

سابعاً: الرفعة و العظمة

من البلاء ما غرضه الرفعة والعلو، وهذا ما أفصح عنه القرآن في قصة إبراهيم (ع).

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

---

(١) المجالس السنية .

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٢٤ .

لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ (٢)

وهكذا الأئمة (ع) يبتلون ليرتقوا ويحوزوا على درجات أكبر.

وفي الخبر سأل علي بن رئاب الصادق (ع) عن قول الله (عز وجل): ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ قال: أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم؟ وهم أهل طهارة معصومين؟ قال (ع): (إن رسول الله (ص) كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب) (١).

قال المجلسي: كما أن استغفارهم (ع) لرفع الدرجات كذلك ابتلاؤهم.

ثامناً: هداية البشر وإنقاذهم

ربما يكون الغاية من بلاء الأنبياء وأهل البيت (ع) والأولياء ليست ذواتهم، بل غيرهم، كي يهتدي بهم غيرهم ويكونوا سبباً لإنقاذهم أو شفاعتهم.

فاستشهاد الإمام الحسين (ع) وبتلك الصورة المفجعة، ليس للحسين (ع) ذاته فقط بل لغيره فلولا إراقة دمه على ذلك التراب لما صار تراب قبره شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف وعلاجاً لكل حاجة و مرض وسقم.

ولولاه (ع) ومصائب كربلاء لما كانت مجالسه ومآتمه سببا لنجاة

---

(١) بحار الأنوار باب العافية والمرض .

هذه الأمة في الدنيا والآخرة وسببا لشفاعته وأهل بيته (ع).

تاسعاً: منفعة الناس وقضاء حوائجهم

قد يكون من البلاء ما ينزل على الأنبياء والأولياء ما غرضه تنفيع الناس بهم وقضاء حوائجهم.

ألم في رجله سبب للتوسيع على الفقراء

بعض المدن أو القرى الإيرانية الفقيرة ما زالت ولا يزال أهلها محرومون من أكل اللحم وسائر المنتجات التي تصنع منه وذلك لفقرهم وغلاء اللحم.

ينقل عن السيد حسين البروجردي (قدس سره) أنه أصيب بألم في رجله فوصف له الاستنفاع بالمياه المعدنية الساخنة (القريبة من مدينة محلّات، فذهب إليها، فلما علم فقراء أهل المدينة بذلك توجهوا إلى تلك العين لاستقبال مرجعهم، فلما رآهم أمر بشراء الأغنام وتوزيع لحمها عليهم. ثم ادخروا شيئا منها وصنعوه كبابا له فلما قدموه إليه أبى أن يأكل منه، وذلك بأن الفقراء شموا رائحته، ثم أعطى ذلك للفقراء أيضا [1].

فلولا إصابة رِجل السيد بذلك الألم لم يذوقوا فقراء تلك القرية من اللحم شيئاً.

---

(١) قصص وخواطر.

الفصل التاسع

كيف ندفع البلاء؟

فكما بينا فلسفة الإبتلاء، ينبغي الآن أن نبين كيف ندفعه عن أنفسنا كي يستكمل البحث.

اعلم أن السبب الأول والأكبر في الإبتلاء سخط الله على العبد بسبب معاصيه وتجاوزاته.

عن أبي عبد الله (ع) قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قوله (عز وجل) في كتابه: ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يأخذ به.[1]

فإعادة رضاه (سبحانه) هو الطريق الأول والأفضل لرفع سخطه وبلائه.

كتمان البلاء

---

(١) مكارم الأخلاق ص٣٥٧ .

فالبلاء منه ما يكتم ومنه مالايكتم فينبغي فيه القبول والرضا والتسليم ثم الصبر والكتمان حتى يستكمل الأجر وعدم الشكوى إلا إلى الله أو المؤمن وعدم إبدائه لأحد إلا إذا كانت الشكوى منه تسبب زيادته وتفاقمه كما هو في بعض الأمراض.

وقال الباقر للصادق (عليهما السلام): يا بني من كتم بلاء ابتلي به في الناس وشكا ذلك إلى الله عز وجل كان حقا على الله أن يعافيه من ذلك البلاء [1].

ومن تلك الطرق التي ترضي الرب وترفع البلاء هي:

أولاً: الاستغفار والتوبة

حينما يندم الإنسان فيستغفر الله ويتوب، فإن ذلك بداية زوال البلاء وكشف الغموم عنه، فكما أن الصخرة ترفع بآلة الحفر، كذلك البلاء يرفع بآلة الاستغفار والندم.

عن محمد بن ريان قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث (ع) أسأله أن يعلمني دعاء للشدائد والنوازل والمهمات وأن يخصني كما خص آباؤه مواليهم، فكتب إليّ: إلزم الاستغفار. [2]

ثانياً: الدعاء

كما بينا أن من غايات البلاء هي الدعاء والتضرع، كما أن أفضل الوسائل لزحزحته هي الدعاء والتوسل.

---

(١) مكارم الأخلاق .
(٢) سفينة البحار .
(٣) نهج البلاغة .

قال أمير المؤمنين (ع): (ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء) [٣]

عن أبي عبيده الحذاء قال: كنت مع الباقر (ع) فضلَّ بعيري فقال (ع): صل ركعتين ثم قل كما أقول: اللهم راد الضالة هاديا من الضلالة رد عليّ ضالتي، فإنها من فضلك وعطائك، ثم قال (ع) يا أبا عبيده تعال فاركب، فركبت مع أبي جعفر فلما سرنا إذا سواد على الطريق، فقال (ع) يا أبا عبيده هذا بعيرك فإذا هو بعيري [١].

قال النبي (ص): البلاء يتعلق بين السماء والأرض مثل القنديل فإذا سأل العبد ربه العافية صرف الله عنه البلاء [٢].

عن أبي الحسن موسى (ع): عليكم بالدعاء فإن الدعاء والطلب إلى الله عز وجل يرد البلاء وقد قدِّر وقضي ولم يبق إلا أمضاؤه، فإنه إذا دعا الله وسأله صرف البلاء صرفا [٣].

وقال الصادق (ع): من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقيل صوت معروف ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء وقالت الملائكة: أن ذا الصوت لا نعرفه [٤].

قال أمير المؤمنين (ع): ما من أحد ابتلى وأن عظمت بلواه بأحق بالدعاء من المعافى الذي يأمن البلاء [٥].

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٥٩ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٢٥٩ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٧٠ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٧١ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٧١ .
(٦) مكارم الأخلاق ص ٢٧١ .

عن أبو عبد الله (ع) قال: دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يجر إليه الرزق ويدفع عنه البلاء [٦].

عن أبي عبد الله (ع) قال: إذا أصاب الرجل كربة أو شدة فليكشف عن ركبتيه وذراعيه وليلصقهما بالأرض ويلصق جؤجؤه [١] بالأرض ثم يدعوا [٢].

عن أبي جعفر (ع) قال: تقول: ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه، ولو شاء فعل، قال: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً [٣].

علة عدم إسماعهم

في رواية: عن النبي (ص) قال: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولاتسمعوهم فإن ذلك يحزنهم [٤].

تقديم الدعاء على البلاء

قال الصادق (ع): من تخَوّف بلاء يصيبه فتقدم الدعاء فيه لم يُره الله (عز وجل) ذلك البلاء أبدا [٥].

عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله (ع): هل تعرفون طول

---

(١) جؤجؤه: الصدر «أي يلصق صدره» .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٤٦ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٣٥١ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٥١ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٥١ .
(٦) مكارم الأخلاق ص ٢٩٦ .

البلاء من قصره؟ قيل: لا قال: إذا أُلهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير [٦].

وقال الصادق (ع): إن الدعاء في الرخاء لينجز الحوائج في البلاء [١].

ثالثاً: الذكر

مطلق الذكر يدفع البلاء، سواء كان تهليلا أو تسبيحا أو تكبيرا أو غير ذلك.

قال الرضا (ع) كان أبي يقول: من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله صرف الله عنه تسعة وتسعين نوعا من بلاء الدنيا أيسرها الخنق. (وعلى رواية أخرى سئل: جعلت فداك ما الخنق؟ قال: لايقتل بالجنون فيخنق [٢].

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال: إن رسول الله (ص) قال لأصحابه ذات يوم أرأيتم لو جمعتم ما عندكم من الثياب والآنية ثم وضعتم بعضه على بعض أكُنتم ترونه يبلغ السماء؟ فقالوا: لا يا رسول الله فقال: أفلا أدلكم على شيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟ فقالوا بلى يا رسول الله قال: قول أحدكم إذا فرغ من صلاة الفريضة: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثين مرة أصلهن في الأرض وفرعهن في السماء وَهُنَّ يدفعن الهدم والحرق والغرق

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٣١١ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٣٠٦ .

والتردي في البئر وأكل السبع وميتة السوء والبليّة التي تنزل من السماء على العبد في ذلك اليوم وهن الباقيات الصالحات [٣].

عن الصادق (ع) قال: شكا آدم (ع) إلى الله عز وجل حديث النفس، فنزل عليه جبريل (ع) فقال: قل "لا حول ولا قوة إلا بالله فقالها فذهب عنه، قال: فهذا أصل "لا حول ولا قوة إلا بالله [١].

روي عن النبي (ص) قال لعلي: إذا وقعت في ورطة فقل "بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، فإن الله تعالى يدفع بها البلاء [٢].

رابعاً: قراءة القرآن

من الوسائل لدفع البلاء أيضا هي قراءة القرآن.

قال أبو جعفر (ع): لو كان شيئ يسبق القدر لقلت إن قارئ «إنا أنزلناه» حين يسافر أو يخرج من منزله سيرجع إليه سالما إن شاء الله تعالى [٣].

قال أمير المؤمنين (ع): من خرج من بيته وقلب خاتمه إلى بطن كفه وقرأ «**إنا أنزلناه في ليلة القدر**» ثم قال: «آمنت بالله وحده لاشريك له، آمنت بسر آل محمد وعلانيتهم» لم يرى في يومه ذلك شيئ يكرهه [٤].

عن أمير المؤمنين (ع): قال: من قال حين يمسي ثلاث مرات:

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٤٨ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٥٢ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٤٢ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٢٥ .

﴿سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ لم يفته خير يكون في تلك الليلة وصرف عنه جميع شرها، ومن قال مثل ذلك حين يصبح لم يفته خير يكون في ذلك اليوم وصرف عنه جميع شرّه (١).

عن أبي الحسن (ع): قال: إذا خفت أمراً فاقرأ مائة آية من القران من حيث شئت ثم قل «أللهم إكشف عني البلاء» ثلاث مرات (٢).

عن الباقر (ع): قال: إذا كانت بك علة تتخوف على نفسك منها فاقرأ سورة الأنعام فإنه لا ينالك من تلك العلّة ماتكره (٣).

روي عن العالِم (ع): أنه قال: من نالته علة فليقرأ عليها أم الكتاب سبع مرات فإن سكنت وإلا فليقرأها سبعين مرة فإنها تسكن (٤).

عن الباقر (ع): جاء رجل إلى النبي (ص) فشكا إليه الوسوسة وحديث النفس ودِيناً قد فدحه والعيلة فقال له رسول الله (ص): قل «توكلت على الحي الذي لايموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» وكررها مرارا فما لبث أن عاد إلى النبي (ص) فقال: يالرسول الله قد أذهب الله عني الوسوسة وأدّى عني الدين وأغناني من العيلة (٥).

آية الكرسي تنجي من الهلاك

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٠٩ .
(٢) مكارم الأخلاق ص ٣٦٣ .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٣٦٣ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٣٦٣ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٢٨ .

عنه (ع) «أي الصادق (ع)» قال: أتى أَخَوَانْ إلى رسول الله (ص) فقالا: يارسول الله إنا نريد الشام في تجارة فعلّمْنا مانقول؟ قال (ص): بعد إذ آويتما إلى منزل فصليا العشاء الآخرة فإذا وضع أحدكما جنبه على فراشه بعد الصلاة فليسبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم ليقرأ آية الكرسي فإنه محفوظ من كل شيئ، وإن لصوصا تبعوهما حتى نزلا، فبعثوا غلاما لهم ينظر كيف حالهما، ناموا أم مستيقظون؟ فانتها الغلام إليهم وقد وضع أحدهما جنبه على فراشه وقرأ آية الكرسي وسبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، قال: فإذا عليهما حائطان مبنيان فجاء الغلام فطاف بهما فكلما دار لم يرى إلا حائطين فرجع إلى أصحابه فقال: لا والله مارأيت إلا حائطين مبنيين فداروا بالحائطين فلم يروا إنسان فانصرفوا إلى موضعهم، فلما كان من الغد جاءوا إليهما، فقالوا: أين كنتما؟ فقالا: ماكنا إلا هاهنا، مابرحنا فقالوا: لقد جئنا فما رأينا إلا حائطين مبنيين فحدثانا ما قصتكما؟ فقالا: أتينا رسول الله (ص) فعلّمنا آية الكرسي وتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ففعلنا فقالوا: إنطلقا فوالله لانتبعكما أبدا، ولايقدر عليكما لص بعد هذا الكلام [1].

خامساً: الصلاة

لا شك أن الصلاة هي ارتباط واستعانة بالله ولا شك أنها سبيل لرفع جميع البلايا والمحن وهي كثيرة نذكر منها تَيَمناً.

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٥٥ .

عن الرضا (ع) قال: إذا حزنك أمر شديد، فصل ركعتين تقرأ في إحداهما الفاتحة والكرسي، وفي الثانية الفاتحة وإنا أنزلناه في ليلة القدر، ثم خذ المصحف وارفعه فوق رأسك وقل "اللهم بحق من أرسلته إلى خلقك وبحق كل آية فيه، وبحق كل من مدحته فيه عليك، وبحقك عليه ولا نعرف أحدا أعرف بحقك منك : ياسيدي يا الله عشر مرات، بحق محمد عشرا بحق علي عشرا بحق فاطمة عشرا بحق إمام بعد كل إمام بعده عشرا حتى ينتهي إلى إمام حق، الذي هو إمام زمانك فإنك لا تقوم من مقامك حتى تقضى حاجتك [1].

سادساً: البِّر

البِّر (مطلق فعل الخير والطاعة والأعمال الحسنة وهي تدفع أشد ألوان العذاب).

أفضل أعمال عملتموها

روي... قال رسول الله (ص): بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فآووا إلى غار في جبل، فبينما هم فيه، إنحطّت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: أنظروا أفضل أعمال عملتموها فسلوه بها لعله يفرّج عنكم.

قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان كبيران، وكانت لي إمرأة وأولاد صغار، فكنت أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم غنمي بدأت بوالديّ فسقيتهما فلم آتي حتى نام أبواي فطيبت الإناء ثم حلبت، ثم

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٢٧ .

(١) إنضاع الفرخ: صاح وتلوّى عند الجوع .

قمت بحلابي عند رأسَيّ أبويّ والصبية ينضاعون[٢] عند رجلي، أكره أن أبدأ بهم قبل أبويّ وأكره أن أوقظهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر «أللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك إبتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج لهم فرجة فرأو منها السماء.

وقال الآخر: أللهم إنه كانت لي بنت عم فأحببتها حبا كانت أعز الناس إلي فسألتها نفسها فقالت: لا حتى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فأتيتها بها فلما كنت بين رجليها قالت إتّقِ الله ولاتفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، أللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك إبتغاء وجهك فافرج فيها عنا فرجة، ففرج الله لهم فيها فرجة.

وقال الثالث: أللهم إني كنت إستأجرت أجيرا بفرق[١] ذُرَة، فلما قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها ورغب عنه، فلم أزل أعتمل به حتى جمعت منه بقراً ورعاتها، فجاءني وقال: إتقي الله وأعطني حقي ولا تظلمني فقلت له: إذهب إلى تلك البقر ورعاتها فخذها فذهب واستاقها، ألهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك إبتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي منها ففرّج الله عنهم فخرجوا يتماشون [٢].

سابعاً: الصدقة

ومن الطرق المفيدة لدفع أمواج البلاء هي الصدقة، وهي تنفع لدرأ

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٢١ .

(١) في النهاية الفرق: مكيال يسع ستة عشر رطلا «أي كانت أجرته ذرة بمقدار ستة عشر رطلا».

جميع أنواع البلاء.

عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: الصدقة باليد تدفع سبعين نوعا من أنواع البلاء [1].

قال النبي (ص): يا علي: ثلاث ثوابهن في الدنيا والآخرة الحج ينفي الفقر والصدقة تدفع البلية...[2].

عن أبي عبد الله (ع) قال: من تصدق بصدقة إذا أصبح دفع الله عنه نحس ذلك اليوم [3].

عن حماد بن عثمان: قال: قلت لأبي عبد الله (ع): أيكره السفر في شيئ من الأيام المكروهة مثل الأربعاء وغيره؟ فقال: إفتتح سفرك بالصدقة واخرج إذا بدا لك [4].

عن ابن أبي عمير: قال: كنت أنظر في النجوم وأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيئ فشكوت ذلك إلي أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) فقال: إذا وقع في نفسك شيئ فتصدّق على أول مسكين ثم إمضي فإن الله عز وجل يدفع عنك [5].

أنجاه الله بالصّدقة من الموت

عن الوشّاء: عن أبي الحسن (ع) قال: سمعته يقول: كان رجل من بني إسرائيل ولم يكن له ولد، فولد له غلام، وقيل له إنه يموت ليلة

---

(١) ثواب الأعمال .
(٢) تحف العقول .
(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٤٣ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٤٣ .
(٥) مكارم الأخلاق ص ٢٤٣ .

عرسه، فمكث الغلام فلما كان ليلة عرسه نظر إلى شيخ كبير ضعيف فرحمه الغلام فدعاه فأطعمه فقال له السائل: أحيَيْتني أحياك الله قال: فأتاه آت في النوم فقال له: سل إبنك فسأله فخبّره بصنعه قال: فأتاه الآتي مرة أخرى في النوم فقال له: إن الله أحيى لك إبنك بما صنع بالشيخ [1].

(١) بحار الأنوار ج١٤ ص ٥٠٢ .

ختامها مسك

قال رسول الله (ص): إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: أريد لونا حسناً وجلداً حسناً فيذهب عني الذي قذرني الناس له، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. ثم قال له: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطي ناقة عشراء[1] فقال له: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأقرع فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال شعراً حسناً، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس له فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي شعرا حسناً، ثم قال له: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، فقال له: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى، فقال له: أي شيء أحب إليك؟ فقال: أن يَرُدَّ الله علي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، ثم قال له: فأي المال أحب إليك قال: الغنم، فأعطي شاة والداً.

فأنتج هذا وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا واد من الغنم

---

(١) عشراء : الناقة التي مضى على حملها عشر ة أشهر (المعجم الوسيط) .

ولهذا واد من البقر.

ثم إن الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال له: أنا رجل مسكين قد انقطعت في الجبال في سفري هذا فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال الكثير، بعيرا أتبَلَّغ به في سفري، فقال: الحقوق في المال كثير، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال له الملك: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

ثم أتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لذلك، فردَّ عليه ما ردَّ عليه ذاك، ثم أتى الأعمى في صورته، فقال له: أنا رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت في الجبال في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري فقال له : أنا قد كنت أعمى فرد الله علي بصري، فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك أبداً بشيء أخذته لله (تعالى) فقال له الملك أمسك عليك مالك فإنما ابتليتكم، وقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك وعادا إلى ما كانا فيه.[1]

---

(١) الواعظ لكل واعظ ومتعظ.

كلمة أخيرة

ذكرت طرق رفع البلاء التي يحتاج إليها كل مؤمن ومؤمنة، ولكن بالنسبة للأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين الذين سلموا أمرهم إلى الله ورضوا بقضائه وقدره، فأصبحو لايرون إلا ما يراه الله، ولايريدون إلا ما أراده ولا يحبون إلا ما أحبه، ولا يبغضون إلا ما أبغضه، هل كانوا يحتاجون لتلك الطرق في رفع البلاء؟! نعم ولكن في بعض الأحيان كما يظهر لمن تتبع أحوالهم وحياتهم، ولكن في أكثر الأوقات كانوا يرضون بالبلاء ويسلمون به بل ويرحبون به بكل ترحيب، وكانوا لا يرونه كما يراه الناس شقاء أو أذى بل كانوا يرونه نعمة تستوجب الشكر عليها لمعرفتهم بالله ويقينهم بما يؤول إليه وما إدخر الله لهم يوم القيامة بسببه.

في الخبر لما أمر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة عند نهر كوثا من قرية قطنانا، وأوقد النار فعجزوا عن رمي إبراهيم، فعمل لهم إبليس المنجنيق فرمي به فتلقاه جبرئيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا!، حسبي الله ونعم الوكيل، فإستقبله ميكائيل فقال: إن أردت أخمدت النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي؟ فقال: لا أريد وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيّرت النار؟ قال: لا أريد!، فقال جبرائيل: فاسئل الله! فقال: حسبي من سؤالي

علمه بحالي [1].

وهذا ما نراه جليا أيضا في الحوراء زينب (ع)، فبعد ما رأته من المصائب والمحن في يوم الطف وما لحقه من سبي وتشريد وتعذيب يسألها ابن زياد (لع) عند دخول السبايا والرؤوس عليه في الكوفة قائلا: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت (ع): ما رأيت إلا جميلا [2].

وكذلك لما وقفت على جثمان أخيها الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله قالت: أللهم تقبل منا هذا القربان [3].

---

(١) ميزان الحكمة ج ١٠ ص ٦٧٩ .

(٢) معالي السبطين ج ١٢ ص ١١٢ .

(٣) حياة الإمام الحسين (ع) ص ٢٢١ .

مصادر الكتاب

١- القرآن الكريم	ــــــــــــــ
٢- نهج البلاغة	للإمام علي (ع)
٣- الصحيفة السجادية	للإمام السجاد (ع)
٤- أصول الكافي	للكليني
٥- بحار الأنوار	للمجلسي
٦- تحف العقول	للحراني
٧- توحيد المفضل	للمفضل الجعفي
٨- ثواب الأعمال	للصدوق
٩- الخصائص	للمفيد
١٠- زهرة الربيع	للجزائري
١١- سفينة البحار	للقمي
١٢- العباس (ع)	للمقرم
١٣- كلمة الله	للشيرازي
١٤- المحجة البيضاء	للفيض الكاشاني
١٥- المجالس السنية	للأمين
١٦- مسؤولية الشباب	للصفار
١٧- معالي السبطين	للحائري

١٨- المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين
١٩- مكارم الأخلاق للطبرسي
٢٠- الواعظ لكل واعظ ومتعظ للنجفي
٢١ - قصص وخواطر للمهتدي
٢٢ - القرآن دراسة عامة الحكيمي
٢٣ - ميزان الحكمة الري شهري
٢٤ - حياة الإمام الحسين (ع) للقرشي

الفـــهـــرس

الموضوع **الصفحة**

الإهـداء ٧

المقدمة ٩

الفصل الأول

الإبتـلاء مـاذا يعني ؟ ١٣

الفصل الثاني

تـاريخ الإبتـــلاء ١٥

الفصل الثالث

شمولية الإبتلاء ٢٠

الفصل الرابع

أنواع الإبتـــــلاء ٢٢

اللون الأول: الأمـراض ٢٢

أولا:الأمراض الجسدية ٢٢

ثانيا: الأمراض العقلية ٢٢

ثالثا: الأمراض النفسية ٢٣

اللون الثاني: الأسرة ٢٣

اللون الثالث: المجتمع الفاسد ٢٦
اللون الرابع: السلطة الجائرة ٢٦
اللون الخامس: الكوارث الطبيعية ٢٧
اللون السادس: الحوادث ٢٧
اللون السابع: الحروب ٢٨
اللون الثامن: النعمة والمال ٢٨
اللون التاسع: الفقر ٢٨

الفصل الخامس

الإبتـــلاء والمؤمن ٣٠
ما هو موقف الناس من الإبتلاء؟ ٣٠
علامة المؤمن الإبتلاء ٣١
كراهة انقطاعه عنه ٣٣
بيضة تقع على وتد فلا تنكسر ٣٤
سرعة نزوله عليه ٣٤
لا يبتلى بفقد عقله ٣٥

الفصل السادس

لماذا نبـــتلى؟ ٣٦
أولا: الاختبار ٣٦
أصحاب الإختبار ٤١
طالوت وجنوده ٤١
ثانيا: الرجوع إلى الله ٤٤
رجل انكسرت به السفينة ٤٦
حادث سيارة يرجعها إلى التوبة ٤٧
ثالثا: التكفير عن السيئات ٤٧

المرض كـفـارة ٤٩
الحمى تحت الذنوب ٥٠
سقط من الكرسي لنَسْيِه البسملة ٥١
الهم كـفـارة ٥٣
شدة الموت كفارة ٥٣
رجل بعضه تحت حائط وبعضه خارجه ٥٣
ملك يموت بسمكة وآخر يحيى بها ٥٤
الموت هو الحمام الأخير ٥٥
رابعا: زيادة الأجر والحسنات ٥٦
خامسا: التزهيد في الدنيا ٥٦
سادسا: التأديب ٥٧
مغن مات بسرطان الحق ٥٨
سابعا: الإصلاح ٥٨
ثامنا: دفع الضرر ٦٠
رجل يفقد ديكه وكلبه وحماره ٦٠
تأخر عن الباص فنجى من الموت ٦١
تاسعاً: بناء الإنسان ٦٢
خاف صوت الرعد فصار فلكيا ٦٢
انقطع سير المحرك فوضع غترته ٦٣
عاشرا: الرفعة والترقي ٦٣
الحادي عشر: معرفة النواقص والعيوب ٦٥
عابد انقطع رزقه ٦٥
الثاني عشر: معرفة نعم الله وحقوقها ٦٧
الثالث عشر: معرفة النبي (ص) وآله والأنبياء والأولياء ٦٩

قصة بيبي حكيمة ٦٩

الفصل السابع

درجـــات الإبتـــلاء ٧٣

الفصل الثامن

فلسفة ابتلاء الأنبياء والمعصومين (ع) ٧٥
أولا: عظمة الهدف ٧٥
ثانيا: عظمة نعمة الله ٧٦
ثالثا: سلوة للناس ٧٧
رابعا: نفي الربوبية عنهم ٧٨
خامسا: الإقتداء بهم ٧٩
سادسا: ترك الأولى ٨٠
سبب فراق يعقوب ليوسف (ع) ٨١
سابعاً: الرفعة والعظمة ٨١
ثامناً: هداية البشر وإنقاذهم ٨٢
تاسعاً: منفعة الناس وقضاء حوائجهم ٨٣
ألم في رجله سبب للتوسيع على الفقراء ٨٣

الفصل التاسع

كـيف ندفع البـــلاء ٨٤
كتمان البلاء ٨٤
أولا: الاستغفار والتوبة ٨٥
ثانيا: الدعاء ٨٥
علة عدم إسماعهم ٨٧
تقديم الدعاء على البلاء ٨٧
ثالثا: الذّكـر ٨٨

رابعاً: قراءة القرآن ٨٩
آية الكرسي تنجي من الهلاك ٩٠
خامساً: الصلاة ٩١
سادساً: البِّر ٩٢
أفضل أعمال عملتموها ٩٢
سابعاً: الصدقة ٩٣
أنجاه الله بالصدقة من الموت ٩٤
خاتمها مسك ٩٦
كلمة أخيرة ٩٨
مصادر الكتاب ١٠٠
الفهرس ١٠٢